قصة مدينة

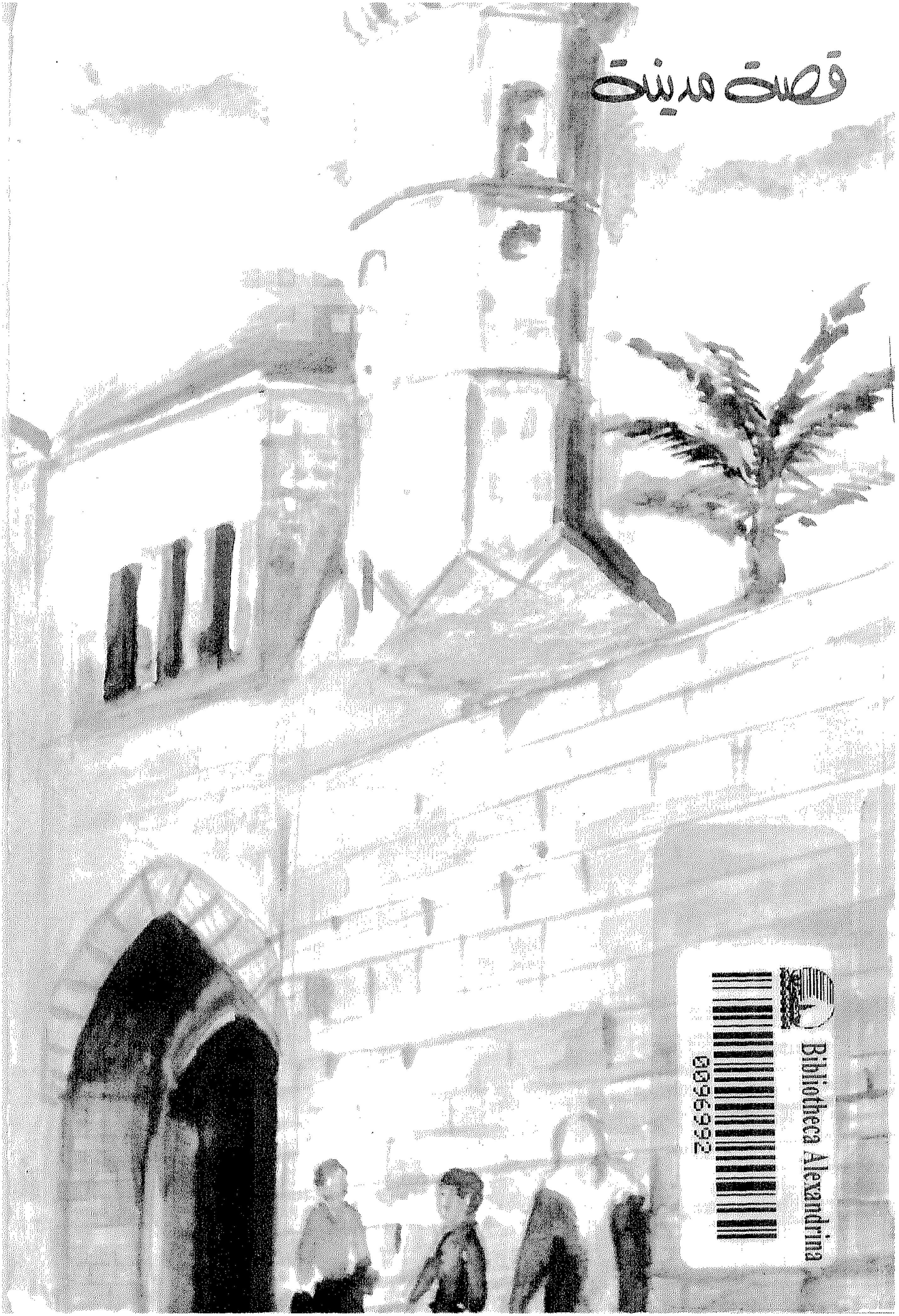

Bibliotheca Alexandrina
0096992

قصة مدينة

خان يونس

تأليف

الدكتور حسن عبد القادر صالح

General Organization of the Alexandria Library
Bibliotheca Alexandrina

سلسلة المدن الفلسطينية (١٨)

تصدر عن :
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية

مسجد قلعة برقوق في خان يونس

لوحة الغلاف الفنان وليد علي

سكرتير التحرير ومنسق المشروع
حسين العودات

حقوق الطبع محفوظة للناشرين

المحتوى

الـفـصــل الأول :

الملامح الطبيعية ٧

الـفـصــل الثــاني :

المسيرة التاريخية ٣٣

الفصــل الثــالث :

النمو السكاني والعمراني ٥١

الفصــل الــرابـع :

وظائف خان يونس ٧١

الفصــل الخــامس :

التركيب العمراني ٨٧

الفصـل الســادس :

التطور الحضري لمدينة خان يونس ٩٧

تصديـــر

اهتمت المؤتمرات الثقافية والندوات على مستوى الوزراء والمسؤولين والخبراء العرب، بالحفاظ على الثقافة العربية الفلسطينية والتراث الفلسطيني، وتجديدهما وتعريف الأجيال الناشئة بهما، وبمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني، واعتمد المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومجلسها التنفيذي، مخططاً متعدد الجوانب، متنوع الأساليب، للوصول إلى هذا الهدف. وقد تمت تهيئة الشروط المناسبة، لتنفيذ هذا المخطط، الذي يشمل اصدار دراسات علمية في اطار مشروع (سلسلة المدن الفلسطينية)، بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بهدف اعطاء فكرة جامعة عن هذه المدن، تتضمن واقعها الجغرافي، وتطورها العمراني عبر العصور، وتاريخها، وأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ورصد التاريخ النضالي لسكانها، ليستفيد منها الطالب والعامل، والمثقف والمختص على حد سواء، ولتبقى وثيقة حية في ذاكرة الامة العربية.

وإن هذا المشروع، الذي يعتبر عملاً قومياً وثقافياً، يمثل جانباً من نشاط المنظمة في المجال الفلسطيني، ومساهمة في بناء الثقافة الفلسطينية، وتقوية عرى العلاقة بين الفلسطينيين ووطنهم. وإني أشيد هنا بالجهود الطيبة التي تبذلها دائرة الثقافة بمنظمة التحرير، وبالعمل العلمي المسؤول الذي تقوم عليه هيئة التحرير لإصدار كتب هذه السلسلة القومية.

ومن الله التوفيق

الدكتور محي الدين صابر
المدير العام
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

خارطة فلسطين

الفصل الأول

الملامح الطبيعية

أصل التسمية :

يتكــون اسم مدينــة خان يونس من كلمتــين : الأولى «خـــان» ، بمعنى «فنـدق» ، والثـانيـة «يـونس» ، نسبـة الى مؤسس الخـان الأمير يونس النوروزي الـدوادار. وكـان الخليفـة الأمـوي عمـر بن عبـد العزيز من أول الخلفاء المسلمين الـذين اتخـذوا الخـانات للمسافرين . وظل للخانات التي تعني فنادق في المصطلح الحـالي ، دورهـا الـوظيفي المهم بعـدئذ ، وبخاصة في عصر المماليك حينما ازدهرت حركـة التجـارة العـالميـة عبر دولـة المماليك في المشرق العربي . وفي العصر العثماني أخذت الفنادق تحل محل الخانات تدريجياً ، وانكمشت أهمية الخانات التي ظل عدد محدود جداً منهـا يمارس دوره الـوظيفي التقليـدي في بعض المـدن خلال عصـر الانتداب البريطاني على فلسطين .

وقـد انتشـرت الخـانـات ومن بينها خان يونس كمحطات للقوافل التجارية على طول الطرق التي تمر فيها . واعتاد التجار أن يأووا إلى هذه الخانات ببضائعهم ومواشيهم للاستراحة فيها من جهة ، وللتزود بالمواد التموينية والماء من جهة ثانية . وكانت هذه الخانات توفر للتجار الأمن والطمأنينة من أخطار اللصوص والمحتالين . وقــد وصف ابن بطــوطـة في رحلتـه الخـانـات ، وذكـر أنهـا تتألف من حجـرات

للمسافرين، وأخرى لدوابهم، وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته[1].

وأما الأمير يونس النوروزي الذي أقام الخان عام ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م على شكل قلعة حصينة متينة الأركان عالية الجدران، فأصله من مماليك «الأمير جرجي الادريسي» نائب حلب، وصار من جملة المماليك اليلبغاوية، وترقى حيث أصبح دواداراً للأمير الكبير أسند مر الأتابك، ولما تسلطن «السلطان الملك الظاهر برقوق» (٧٨٤ ـ ٧٩١هـ/١٣٨٢ ـ ١٣٨٨م)، جعله دواداراً، وكان من أخص أمرائه. والدوادار لقب لأحد كبار موظفي ديوان الانشاء المكلف بالرد على مكاتبات السلطات الرسمية وإعداد الرسائل التي يبعث بها السلطان إلى مختلف الملوك والأمراء، وحفظ صور عنها في ملفات خاصة. وتعني كلمة دوادار بالفارسية ممسك الدواة. أي أنه كان بمثابة الكاتب الأول للسلطان برقوق الذي يعد أول ملوك المماليك الشراكسة وأشهرهم[2].

الموقع:

تقع مدينة خان يونس على دائرة العرض ٢١. ٣١° شمالاً، وعلى خط الطول ١٨. ٣٤° شرقاً. وهي في أقصى جنوب غربي فلسطين، على بعد ٢٠كم من الحدود المصرية. وفي فترة الانتداب البريطاني كانت واحدة من بين أهم مدن قضاء غزة بعد مدينة غزة. (شكل ١).

---

١ ـ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دار صادر ـ دار بيروت، بيروت ١٩٦٤، ص ٥٤.

٢ ـ أ ـ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ١ ق ٢، دار الطليعة، بيروت (١٩٦٦)، ص ١٣٦.

ب ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، الجزء التاسع، غزة (١٩٨٣)، ص ٧٢.

جـ ـ ابن تغري بردى، يوسف جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة ١١/ ٣٨٤.

نشأت خان يونس في أقصى الطرف الجنوبي لسهل فلسطين الساحلي بين مدينتي غزة شمالاً ورفح جنوباً. وفيها تمر الطريق الرئيسة المعبدة التي تخترق قطاع غزة لتصل بين مصر وفلسطين، كما يمر فيها خط سكة حديد القنطرة ـ حيفا. وخان يونس أشبه بواحة على الحافة الغربية لصحراء النقب التي تعد ظهيراً لها. لذا ارتبطت خان يونس بالنقب بطريق تتجه شرقاً عبر قرى بني سهيلة وعبسان

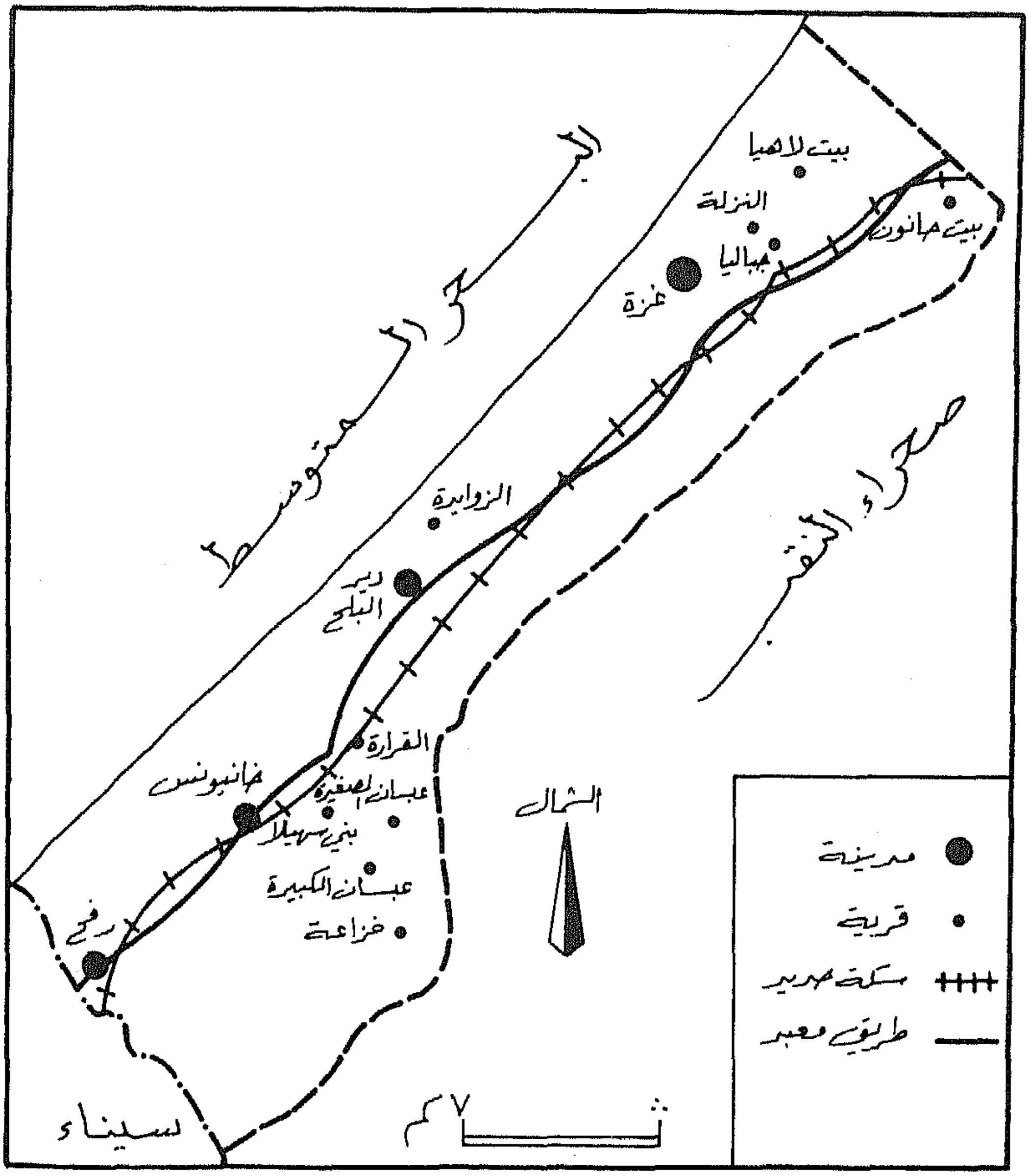

شكل ـ ١ ـ موقع مدينة خان يونس في قطاع غزة

وخزاعة. وقد اكتسب موقع خان يونس أهمية خاصة لأنه يشكل نقطة انقطاع بين بيئة النقب الصحراوية وبيئة السهل الساحلي المتوسطية، ولأن منتجات البيئتين تجد في سوق خان يونس مكاناً مناسباً للتبادل[٣].

وتشارك خان يونس مدينة غزة الواقعة على مسافة ٢٥ كم الى الشمال منها في أهمية موقعها الجغرافي منذ القديم حتى الوقت الحاضر. فهي تقع في منطقة انتقالية بين الأراضي الخصبة في السهل الساحلي لفلسطين، وكل من صحراء النقب شرقاً، وصحراء سيناء جنوباً. ويشكل موقعها جسر عبور للغزوات الحربية وللقوافل التجارية والمسافرين والهجرات البشرية القادمة من كل من الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام والمتجهة إلى مصر، وبالعكس. إضافة إلى ذلك فإن قطاع غزة كان ولا يزال يعد منطقة حاجزة بين مصر وبلاد الشام. وقد حرصت الحكومات المصرية المتعاقبة منذ عصر الفراعنة حتى وقت قريب على الاحتفاظ بالشريط الجنوبي من السهل الساحلي لفلسطين تحت حكمها أو ادارتها لضمان المحافظة على أمنها الداخلي من أخطار أي اعتداءات قد تتعرض لها حدودها من الجهة الشمالية.

لم تكن أهمية الموقع الجغرافي لمدينة خان يونس نعمة على سكانها في كل الأوقات، بل أنها كانت تشكل نقمة عليهم أحياناً، ذلك لأن الأهمية الاستراتيجية لموقع خان يونس أدت إلى تكالب كثير من الأمم على هذا الموقع طمعاً في احتلاله لأنه كان يشكل معبراً أرضياً سهلاً ما بين وادي النيل وإقليم الهلال الخصيب. وقد ظهرت الأهمية الاستراتيجية لموقع خان يونس في العصور القديمة حيث كان التنافس الدولي شديداً بين أعظم دولتين أو امبراطوريتين في العالم القديم، المصرية والبابلية أو الآشورية، فكان موقع إقليم خان يونس على طريق الجيوش تمر فيه القوات الزاحفة من مصر إلى بلاد ما بين النهرين، أو القوات الزاحفة من تلك الجهات إلى مصر. وكان موقع إقليم خان يونس ـ رفح قد شهد معركة دارت

---

٣ ـ حسن صالح، مدينة خان يونس، الموسوعة الفلسطينية، المجلد (٢)، دمشق (١٩٨٤)، ص ٣١٥.

في عام ٢١٧ ق.م بين البطالسة المصريين الذين هبوا للدفاع عن حدود بلادهم بين البطالسة المصريين الذين هبوا للدفاع عن حدود بلادهم أمام الزحف السلوقي السوري المتجه نحو مصر. وتمكن البطالسة من احتلال مايعرف اليوم بقطاع غزة أمام الزحف السلوقي السوري المتجه نحو مصر. وتمكن البطالسة من احتلال ما يعرف اليوم بقطاع غزة بعد أن نجحوا في صد المهاجمين على أعقابهم(٤).

غير أن أهمية الموقع الذي يكون محط أطماع المعتدين في السيطرة عليه، لم تكن إلا باعثاً على اليقظة والشجاعة من قبل سكانه المحليين الذين يهبون للدفاع عنه لدرء الأخطار التي يتعرضون لها. فقد هبّ إقليم خان يونس لتقديم العون والمساعدة للأيوبيين الذين تصدوا للأخطار الصليبية، وللمماليك الذين قدموا من مصر لمحاربة التتر. وكما كان إقليم خان يونس صمام الأمن بالنسبة للدول القائمة في مصر في عصور الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك، استمر هذا شأنه في العصر الحديث، فنجد أن نابليون بونابرت قد حرص على السيطرة على إقليم السهل الساحلي لفلسطين لتأمين سيطرته على مصر أثناء احتلاله لها من جهة، ولدرء الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها مصر من قبل العثمانيين من جهة ثانية. وفي ١٥١٦/١٢/١١ حصل اصطدام عند خان يونس بين طلائع الجيش العثماني بقيادة الوزير سنان باشا وحملة مملوكية خرجت لقتال العثمانيين بقيادة جانبردي الغزالي، وهزم المماليك في معركة خان يونس. وقد ساعد بدو سيناء وعلى رأسهم شيخ العرب المسمى بابن البريق، ساعدوا العثمانيين في المعركة، وكان ولاء البدو عاملاً مهماً في نجاح هجوم العثمانيين وتقدم السلطان سليم الأول نحو القاهرة في عام ١٥١٧م(٥). كما حرص محمد علي، حاكم مصر على مد نفوذه في فلسطين للاستفادة منها كمنطقة حاجزة بينه وبين الدولة العثمانية.

---

٤ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ (من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي)، غزة (١٩٨٠)، ص ٥ ـ ٨.

٥ ـ أ ـ عارف العارف، تاريخ غزة، مطبعة دار الايتام الاسلامية، القدس (١٩٤٣)، ص ١٧٣.

ب ـ احمد بن زنبل الرمال المحلي، تاريخ السلطان سليم خان، القاهرة ١٢٧٨هـ.

كانت خان يونس تعد المفتاح الشمالي الشرقي لمصر، والبوابة المؤدية إلى فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى، ففي ٢٨ شباط ١٩١٧ وصل الانكليز إلى مدينة خان يونس[٦]، ثم انطلقت منها قواتهم لمهاجمة غزة شمالاً، وبئر السبع شرقاً، واشتبكت مع جيش الأتراك في معارك أدت في النهاية إلى اندحار الجيش العثماني وتقدم الجيش البريطاني نحو فلسطين لاحتلالها. وفي عام ١٩٤٨ عبرت القوات المسلحة المصرية الحدود الفلسطينية لمواجهة الخطر الصهيوني في فلسطين، واستفادت من موقع خان يونس الاستراتيجي عندما تقدمت في محورين أحدهما يتجه شمالاً نحو غزة، والثاني يتجه شرقاً نحو بئر السبع.

وقد حاولت القوات الإسرائيلية بتقدمها نحو سيناء في حرب عام ١٩٤٨ أن تعزل قطاع غزة عن مصر تمهيداً للاستيلاء عليه، غير أن القوات المسلحة المصرية تمكنت من دحر الهجوم الإسرائيلي وتفويت الفرصة على إسرائيل لتنفيذ خطتها العسكرية، ونجحت في الدفاع عن قطاع غزة، والاحتفاظ به كمنطقة حاجزة بينها وبين إسرائيل. غير أن الأطماع الإسرائيلية التوسعية أدت إلى تعرض مصر وقطاع غزة لعدوان ثلاثي شاركت فيه كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، كما أدت هذه الأطماع إلى تعرض مصر وقطاع غزة لعدوان إسرائيلي في ٥ حزيران ١٩٦٧. وتمكنت إسرائيل من احتلال قطاع غزة في حرب عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧، ولا يزال احتلالها جاثماً على القطاع منذ عام ١٩٦٧ حتى الوقت الحاضر. وفي كل الحروب التي دارت في قطاع غزة بين العرب وإسرائيل، في أعوام ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧، كان لموقع خان يونس الاستراتيجي دور مهم في توجيه محاور الهجوم الاسرائيلي على القطاع.

أما الأهمية التجارية لموقع خان يونس فإنها تتجلى في كونها نقطة انقطاع بين بيئة سهلية ساحلية مطلة على البحر المتوسط في الغرب وبيئة صحراوية هي صحراء النقب في الشرق. إضافة إلى ذلك، فإن موقع خان يونس يشكل نقطة

---

٦ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ (تحت الانتداب البريطاني)، الجزء الرابع، غزة، (١٩٨١)، ص ٧ ـ ٨.

انقطاع بين بيئة سهلية ساحلية خصبة في الشمال (السهل الساحلي لفلسطين)، وبيئة صحراوية (صحراء سيناء) في الجنوب، هي امتداد لصحراء النقب في جنوبي فلسطين. لذا كانت أسواق خان يونس ملتقى للبدو والريفيين حيث يبيع البدو منتجاتهم الحيوانية، ويبيع الريفيون منتجاتهم الزراعية، ويشترون ما يحتاجون إليه من مواد تموينية ومستلزمات معيشية.

وقد احتفظت خان يونس بأهمية موقعها التجاري لفترة طويلة كممر للقوافل التجارية بين مصر وبلاد الشام، وبخاصة في عصر المماليك والعصر العثماني، إذ كان خانها يستقبل هذه القوافل على الدوام للاستراحة فيه. كما كانت خان يونس منذ العصر العثماني ممراً للحجاج المسلمين القادمين من الشمال في طريقهم إلى السويس حيث ينقلون بحراً إلى الحجاز عن طريق خليج السويس. وقبل ذلك كانت قوافل الحجاج تتجه من خان يونس نحو الشرق مخترقة صحراء النقب (درب الحج المصري) متجهة الى العقبة في طريقها إلى الحجاز.

وقد أسهم موقع خان يونس في عملية استيطان البدو واستقرارهم في المدينة وإقليمها. ولا شك أن موقعها المنفتح على الصحراء في الشرق والجنوب كان عاملاً مهماً من عوام جذب بعض القبائل للاستقرار في المدينة. وكانت أراضيها تتعرض لغزو البدو أحياناً، وبخاصة في السنوات التي تعاقب فيها الجفاف، كما كانت القوافل التجارية وقوافل الحجاج تتعرض للنهب أحياناً من قبل بعض اللصوص، وهذا يفسر لنا اهتمام المماليك ومن بعدهم العثمانيين بقلعة خان يونس كقاعدة عسكرية لتوفير الأمن على طول الطريق الذي يربط بين بلاد الشام ومصر، ولحماية هذه القوافل من الأخطار.

وفي أوائل العصر العثماني اهتمت الدولة العثمانية بموقع خان يونس لما له من أهمية في تأمين طريق الحجاج. وفي إحدى الوثائق المحفوظة في أرشيف استانبول يوجد نص رسالة موجهة من السلطان العثماني إلى حاكم غزة أحمد بك آل رضوان يتعلق بتأمين طريق الحج الذي يمر في خان يونس، ويذكر النص ما يلي(٧):

---

٧ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ العثماني. الجزء الثالث، غزة (١٩٨٠)، ص ٩٠ ـ ٩١.

«إن جزءاً من طريق ـ دمشق القاهرة الواقع بين غزة وقاطية (قربة القنطرة)، والـذي يتحمـل السفر فيه ٦ ـ ٧ أيام، يقع في الصحراء الخالية من السكان ـ عدا منطقـة العـريش ـ مما سهّـل على أشـرار البدو مضايقة المسافرين لدى مرورهـم في هذه الطـريق، وخـاصـة قرب أنقـاض خان يونس. وحتى يمكن تأمـين مرور المسـافـرين في ظل حمايـة دولتنـا العليّة، ورغم ما نتحمله من تكاليف كثيرة، فإني أصـدرت الأوامـر لإعـادة الخان المذكور ليكون قلعة حصينة، كما أمرت علي باشا، حاكم ولاية مصر، بأن يضع في هذه القلعة ١٠٠ خيّال من مصر، تدفع أجورهـم من الإقطـاعيـات التـابعـة له، كما هي الحال في حامية العريش. وبناء على ذلك أعيدت هذه القلعة ووضع فيها ٤٠ فارساً و٢٠ جندياً من المشاة. ولكن كثرة عدد البـدو ومـوقـع هذه القلعـة المنعزل يجعل هذه الأعداد قليلة، لهذا أصدرت الأوامر لباشا مصر المذكور ليرسل ٤٠ فارساً آخرين من مصر لتصبح الحامية ١٠٠ رجل كما هو مقرر».

وقد سبق ان ذكرنا أن الأمير يونس النوروزي الدوادار كان قد أقام خاناً في خان يونس عام ١٣٨٧م كقلعـة حصينـة عاليـة، ولا يزال بعض أبراجها وجدرانها قائمـة حتى اليـوم (شكـل ٢). هذه القلعـة هي التي اهتم بها العثمانيون مخفر لحماية قوافل الحجاج والمسافرين على طريق غزة ـ القنطرة. وقد اهتم المماليك بهذه القلعة لتكون أيضاً أحد مراكز البريد بين مصر وبلاد الشام. وتجدر الإشارة إلى أن موقـع السلقـة كان محطـة من محطـات البريد بين غزة ومصر أيام المماليك، إلى أن أقيم مكـانـه خان يونس لتأديـة الغرض نفسه[٨]. وتشير إحدى الدراسات إلى أن خان يونس كان في القـرن العـاشـر الهجـري / السادس عشر الميلادي، مركزاً من المراكز التي تجبى فيها الضرائب على الحجاج والمسافرين[٩].

---

٨ ـ القلقشندي، ابو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشا، جزء (١٤) نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، القاهرة (١٩٦٣)، ص ٣٧٨.

٩ ـ B. Lewis, «Studies in the Ottoman Archives I, P. 497.

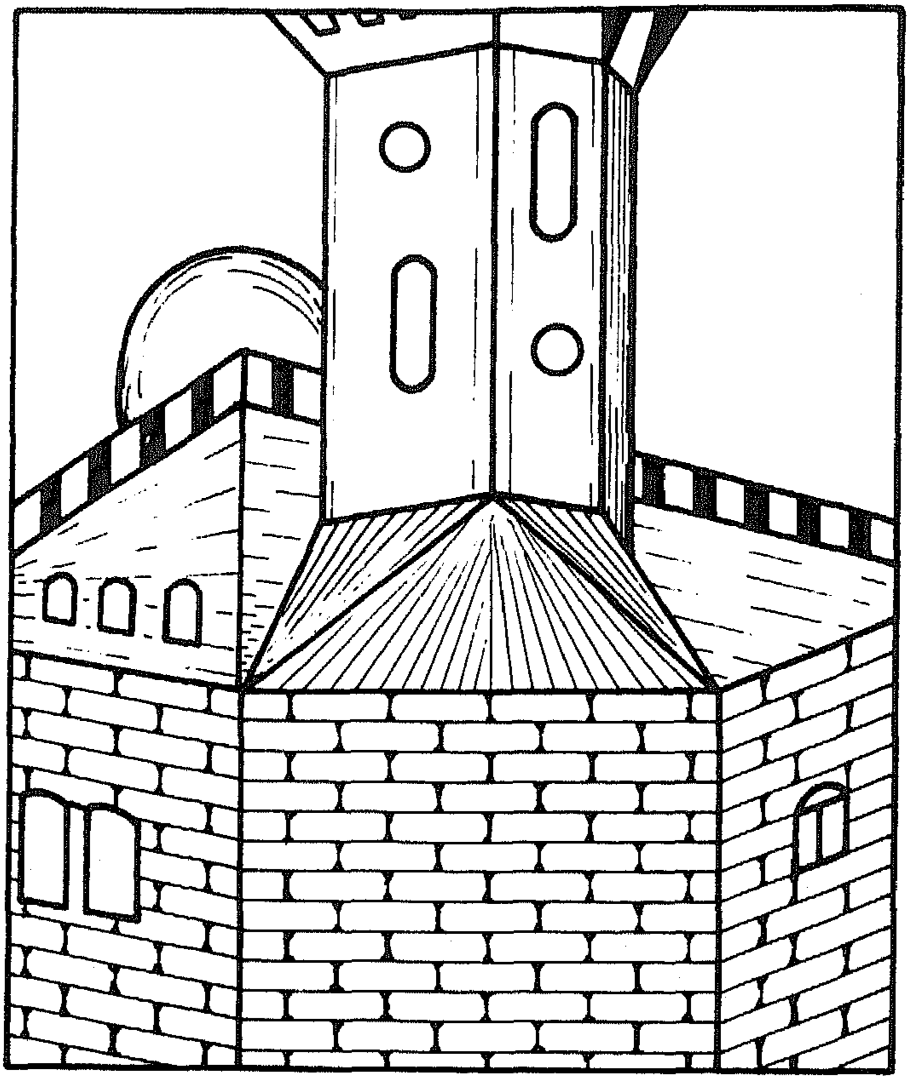

شكل ـ ٢ ـ أحد جوانب قلعة خان يونس

مما سبق يتضح لنا أن موقع خان يونس لعب دوراً مهما في نشأة المدينة وعمارها عبر العصور التاريخية، وأن هذا الموقع لا يزال يحتفظ بأهميته حتى الوقت الحاضر. ولاشك أن الموقع لا يستطيع أن يؤدي دوره كاملاً مالم يدعمه موضع المدينة، فهل يصل موضع خان يونس في أهميته إلى الدرجة التي وصل إليها موقع المدينة؟ هذا ما ستكشف عنه دراسة الأرض التي قامت عليها المدينة.

الموضع :

تقوم مدينة خان يونس على بقعة منبسطة من الشريط السهلي الساحلي الجنوبي لفلسطين. ويبلغ متوسط ارتفاعها حوالي ٥٠م فوق مستوى سطح البحر. وتقوم نواة المدينة فوق خط الانقطاع الذي يفصل بين شريط الكثبان الرملية الشاطئية غرباً وتكوينات البليوسين والاوليجوسين المغطاة بالطمي الحديث لحافة النقب شرقاً. وقد ظل هذا الشريط الرملي الذي يبلغ عرضه حوالي ٣ كم حدّاً فاصلاً بين مدينة خان يونس والبحر المتوسط حتى بدأ النمو العمراني الذي شهدته المدينة في ثلث القرن الأخير يغزو معظمه، فلم يبق منه إلا جزء قريب من شاطيء البحر مخصص لنمو الأشجار الحرجية ولزراعة بعض المحاصيل الزراعية، ولا سيما النخيل والخضار في منطقة المواصي (والمواصي هي آبار قليلة العمق).

ترجع أقدم طبقة جيولوجية في أراضي أقليم خان يونس الى عصر الأيوسين، وهو أقدم عصور الزمن الجيولوجي الثالث، وتتألف تكوينات الأيوسين من الحجر الكلسي. وهناك طبقة أحدث من تكوينات عصري البليوسين والبليوستوسين التي تعلو تكوينات الأيوسين، وتتألف من الحجر الرملي الكلسي والزلط، وتمتاز بقدرتها على حجز المياه الباطنية وتخزينها[١٠]، وتنتشر هذه التكوينات في الجزء الشرقي من مدينة خان يونس، وتتدرج في الارتفاع كلما اتجهنا شرقاً ليصل منسوبها إلى أكثر من ١٠٠م فوق سطح البحر.

وهناك طبقة حديثة أخرى تنتمي إلى عصر البليوستوسين، وتتألف من الطين المختلط بالرمال، وقد قامت نواة مدينة خان يونس فوق هذه التكوينات التي تعد تكوينات مثالية لأراضي السهل الساحلي لفلسطين. ويتراوح ارتفاع الأرض في وسط خان يونس ما بين ٣٠ ـ ٥٠م فوق سطح البحر. وتبدو الأرض هنا منخفضة نسبياً على الرغم من انبساط سطحها وذلك لامتدادها بين تكوينات الأيوسين المرتفعة نسبياً في شرقي المدينة، وتكوينات البليوستوسين ـ الهولوسين

---

١٠ ـ L. Picard and P. Salomonica, On the Geology of the Gaza- Beersheba District. Bull. No. 2. Jerusalem (1936), P. 64.

المرتفعة نسبياً في غربي المدينة. هذه التكوينات الأخيرة تتألف من الكثبان الرملية الشاطئية التي يتجاوز ارتفاع بعضها ١٠٠م فوق سطح البحر[١١].

لذا فإن الجزء الغربي من خان يونس يقوم على أراض من التلال الرملية أحدث وأكبر ارتفاعاً من بقية أراضي المدينة. وقد أسهم العمران الذي قام فوق هذه التلال الرملية في تثبيتها والحد من زحف الرمال نحو وسط المدينة، إضافة إلى ذلك فإن زراعة هذه الكثبان الرملية بالأشجار الحرجية والمثمرة عمل على تثبيت الرمال واستغلالها في الأغراض السكنية والزراعية.

أما عن التربة فإنها فقيرة بوجه عام، وهي مفككة تغلب عليها مكونات الرمال والأملاح، وتنخفض فيها نسبة الطين والمواد العضوية، لأن سطح الأرض تغلب عليه ظاهرة الكثبان الرملية التي تتخذ شكل شريط مواز لشاطيء البحر المتوسط. وتسود تربة اللوس التي تزداد فيها الرمال والحصى والطفل كلما اتجهنا شرقاً، وهي امتداد غربي لتربة اللوس في صحراء النقب[١٢].

وتنحدر بعض الأودية الصغيرة الجافة من النقب نحو البحر المتوسط مخترقة الأراضي الشمالية لإقليم خان يونس، ويعد وادي السلقة من أكبرها وأكثرها أهمية، إذ أنه يفيض بالمياه في فصل الشتاء إثر هطول الأمطار الغزيرة، وينتهي في البحر المتوسط شمالي خان يونس. وقد اكتسب هذا الوادي أهمية تاريخية لوجود موقع السلقة على مجراه، وكان هذا الموقع، الذي اندثر بعدئذ، يستخدم كمحطة من محطات البريد بين مصر وبلاد الشام في عصر المماليك[١٣]. وتجدر الإشارة إلى أن الكيان الصهيوني أدخل، منذ أوائل الثمانينات، هذا الوادي ضمن مخططات مشروع قناة البحر المتوسط ـ البحر الميت، التي سوف تعمل على شق قناة تبدأ من موقع قطيف على البحر المتوسط (شمالي خان يونس) وتجري في وادي السلقة متجهة نحو الشرق إلى منطقة بئر السبع في النقب، ومن ثم إلى البحر الميت.

١١ ـ خريطة فلسطين، مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠، لوحة خان يونس.

١٢ ـ A. Reifenberg, The Soil of Palestine. London (1947), pp. 12- 15.

١٣ ـ القلقشندي، مصدر سابق.

وقد أسهمت الأودية الجافة المنحدرة من هضبة النقب مخترقة أراضي أقليم خان يونس في طريقها الى البحر المتوسط، في إلقاء إرسابات الطمي أثناء فيضاناتها الشتوية على جوانب هذه الأودية، كما أسهمت الرياح في نقل التكوينات الرملية الحصوية من النقب وسيناء وإرسابها في أراضي إقليم خان يونس. ومن جهة ثانية فإن التيارات البحرية القادمة من الجنوب كانت تنقل معها طمي النيل الذي اعتاد نهر النيل أثناء فيضانه أنه يلقي به في البحر المتوسط شمالي دمياط ورشيد، وعملت الرياح وأمواج البحر على نحت هذه الإرسابات الطميية المترسبة على طول الساحل الفلسطيني الجنوبي ونقلها على شكل كثبان رملية نحو الشرق. وقد اختلطت تربة اللوس القادمة من الشرق بهذه الكثبان الرملية القادمة من الغرب، ونشأ عنها تربة لوس رملية تشكل موضع مدينة خان يونس.

وتتألف تربة اللوس الرملية في إقليم خان يونس من ذرات الكوارتز الناعمة مختلطة مع المواد الطباشيرية، وهي غنية بالمواد الكلسية وفقيرة في الحديد والألومنيا، وتحتوي على نسبة عالية من الرمال الناعمة، بحيث أنها تتيح المجال للماء والهواء أن يتخللها بسهولة، ولها مقدرة فائقة على تصريف المياه، وقوامها مناسبة للزراعة، إذا توافرت المياه بكميات كافية للريّ، وتصل فيها نسبة الجير الى ٢٥٪، غير أنه تنقصها المادة العضوية والنيتروجين، ويمكن أن تنتج محاصيل وافرة إذا زودت بالمياه الكافية والمخصبات النيتروجينية.

وتمتد تربة الكثبان الرملية بمحاذاة شاطيء البحر المتوسط في الأجزاء الغربية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية من خان يونس. وترتفع في هذه التربة نسبة الكوارتز، كما تتوافر فيها معادن الهورنيلند والأوغاريت. وقد زرعت هذه التربة بالأشجار الحرجية منذ فترة الانتداب البريطاني للحد من زحف الرمال على المدينة. كما انها زرعت أيضاً بالأشجار المثمرة، أما الجهات القريبة من الشاطيء (السواقي أو المواصي) فإنها تزرع بالخضار[١٤].

---

١٤ ـ حسن صالح، الانتاج الزراعي في قطاع غزة، مجلة صامد الاقتصادي، المجلد (١)، العدد (٦٥)، شباط ١٩٨٧، ص ٣٢ ـ ٦٠.

وهناك تربة الكركار أو الجرول المنتشرة على طول التلال الشرقية الواقعة إلى الشرق من مدينة خان يونس والممتدة على طول الأجزاء الشرقية من قطاع غزة. وتتألف هذه التربة من الرمال الملتحمة بمادة كربونات الكالسيوم، وهي من أفقر الترب في قطاع غزة من حيث صلاحيتها للإنتاج الزراعي بسبب ارتفاع نسبة كل من الكربون والكالسيوم بها، إلا أنها ذات أهمية خاصة من حيث أنها الطبقة الخازنة للمياه[١٥].

المناخ:

ينتمي إقليم مدينة خان يونس إلى المناخ الصحراوي المتوسطي، ويمتد هذا الإقليم في الجزء الجنوبي من قطاع غزة (خان يونس - رفح)، وفي الجزء الشرقي الذي يضم قرى بني سهيلة وعبسان وخزاعة التابعة لخان يونس. ويعد إقليم خان يونس مسرحاً تتلاقى فوقه مؤثرات البحر المتوسط والصحراء. وعلى الرغم من وقوع خان يونس على البحر المتوسط وتأثرها بمناخه المعتدل الرطب، إلا أن موضعها في الساحل الجنوبي للبحر المتوسط يقلل من تأثير الرياح الجنوبية الغربية المطيرة شتاء على الإقليم، بسبب هبوبها شبه موازية للساحل. ولكن لا نستطيع أن نتجاهل أثر نسيم البحر الذي يهب على المدينة في الفترة الصباحية، ويلطف من حرارة الصيف.

ومن جهة ثانية، فإن إقليم خان يونس يعد نافذة غربية لإقليم النقب الصحراوي في جنوب فلسطين، لذا فإنه يتعرض لمؤثرات الصحراء في كثير من الأحيان، إذ تهب عليه أحياناً رياح شرقية وجنوبية شرقية باردة جافة في فصل الشتاء، كما تهب عليه رياح شمالية شرقية جافة في فصل الصيف، ويتعرض لرياح الخماسين الحارة الجافة المتربة التي تهب أحياناً من الصحراء (سيناء - النقب) في فصل الربيع. وتؤدي هذه المؤثرات الصحراوية إلى إبعاد مناخ إقليم المدينة عن الاعتدال، بحيث يصبح أقرب إلى التطرف والقارية منه إلى الاعتدال.

---

١٥ - E. Orni, and E. Efrat, Geography of Esrael, Jerusalem (1971), P. 44.

يبلغ المتوسط السنوي لدرجة الحرارة في خان يونس ٢١° م، ويعد شهر كانون الثاني/ يناير أبرد شهور السنة، بينما يعد شهر آب/ اغسطس من أكثر شهور السنة حرارة. وترتفع درجة الحرارة في فصل الخريف عنها في فصل الربيع، حيث يكون شهر إيلول/ سبتمبر اكثر حرارة من شهر حزيران/ يونيه. ويبلغ متوسط النهاية الصغرى لدرجة الحرارة في مدينة خان يونس حوالي ٥° م، ومتوسط النهاية العظمى حوالي ٣٩° م، لذا يرتفع المدى الحراري إلى ٣٤° م. وتتراوح درجة الحرارة في خان يونس ما بين نهاية صغرى ٢° م ونهاية عظمى ٤٠° م.

ولا يتميز مناخ خان يونس بتطرفه النسبي فحسب، بل انه يتميز أيضاً بقلة أمطاره الشتوية، وبارتفاع معامل تغيرها. وقد بلغ متوسط كمية الأمطار السنوية التي هطلت على المدينة خلال الفترة (١٩٢٣/ ٣٤ - ١٩٣٧/ ٣٨) حوالي ٢٧٦ ملم، وانخفض هذا المتوسط خلال الفترة (١٩٧٤/ ٧٥ - ١٩٨٥/ ٨٦) إلى حوالي ٢٢٠ ملم. وتتذبذب هذه الكمية لعدم انتظام هطول الأمطار من عام إلى آخر. وعلى سبيل المثال تراوحت كمية الأمطار التي هطلت على خان يونس ما بين ١٥٨ ملم في عام ١٩٣٥/ ٣٦، و٣٥٧ ملم في عام ١٩٣٦/ ٣٧[16]. كما تراوحت ما بين ١٥٠ ملم في عام ١٩٨٥/ ٨٦، و٤١٢ ملم في عام ١٩٧٩/ ٨٠[17]. (شكل ٣، ٤).

وتتميز أمطار خان يونس بتركزها النسبي في شهور وأيام معينة من السنة. وفي العادة يبدأ هطول الأمطار اعتباراً من شهر تشرين الأول/ اكتوبر، وهو بداية موسم الأمطار، وينتهي في أواخر شهر نيسان/ ابريل، أي أن هطول الأمطار يتركز في مدة لا تتجاوز سبعة شهور في السنة. وتتوزع الأمطار السنوية على أربعين يوماً مطيراً في المتوسط. وإذا اعتبرنا أن متوسط كمية الأمطار السنوية يبلغ ٢٢٠ ملم للفترة (١٩٧٤/ ٧٥ - ١٩٨٥/ ٨٦)، وأن عدد الأيام المطيرة لايتجاوز ٤٠ يوماً، اتضح لنا أن نصيب اليوم المطير الواحد يبلغ ٥,٥ ملم من الأمطار. غير أن

---

١٦ - مصطفى الدباغ، مرجع سابق، ص ١٤١.

١٧ - دائرة الزراعة، ملفات دائرة الزراعة بقطاع غزة.

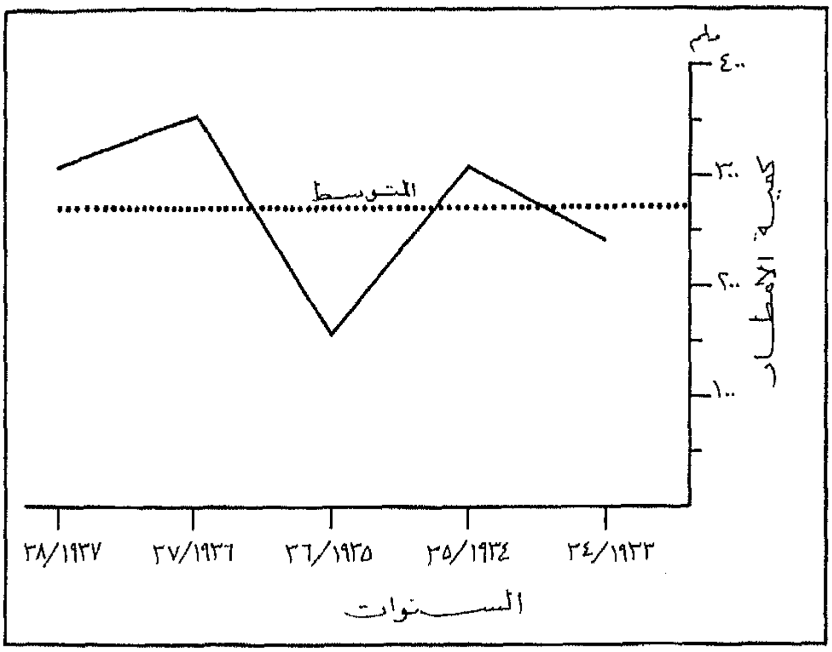

شكل ـ ٣ ـ كمية الأمطار التي هطلت على خان يونس في الثلاثينات

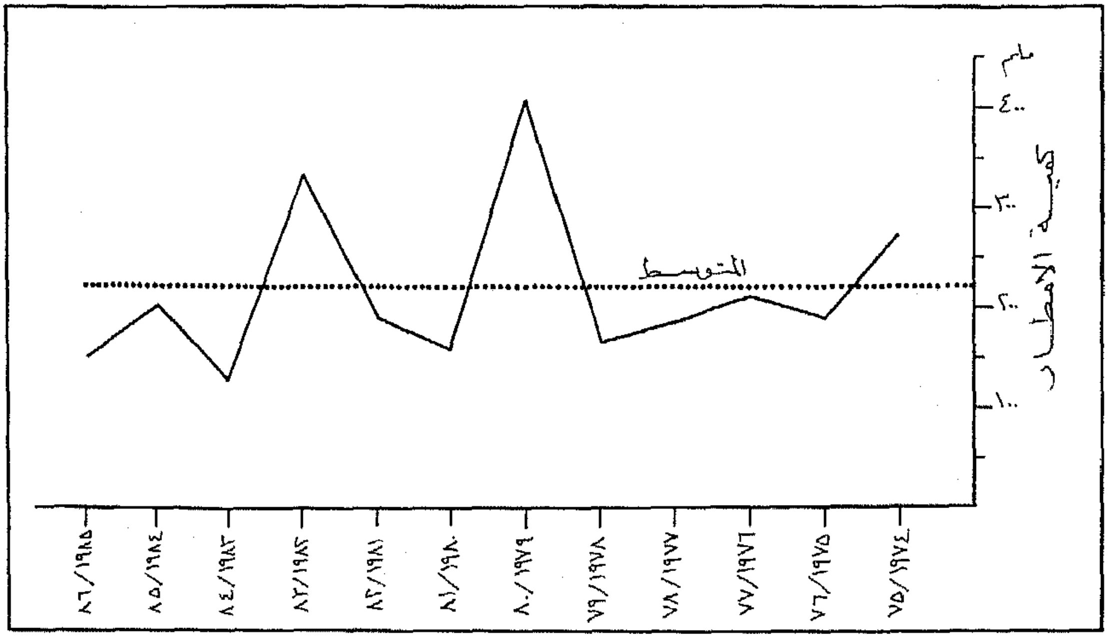

شكل ـ ٤ ـ كمية الأمطار التي هطلت على خان يونس في السبعينات والثمانينات

المعدل المرتفع لتسرب المياه في تربة خان يونس ذات النفاذية المرتفعة لا يتيح المجال للسهول والأمطار أن تجرف التربة، الأمر الذي ينعكس إيجابياً على الزراعة والعمران.

وعلى الرغم من قلة كمية الأمطار السنوية التي تهطل على خان يونس، إلا أن هطولها يتزامن مع الفترة التي تصل درجات الحرارة فيها إلى أدنى حدودها، وبالتالي تكون قيم التبخر والنتح قليلة نسبياً في موسم الأمطار وهذا يعزز من فاعلية الأمطار وأثرها الإيجابي على الزراعة. غير أن ارتفاع معدل التسرب في التربة يقلل من كمية الرطوبة التي ينبغي أن تتوافر في منطقة جذر النبات داخل مقطع التربة، الأمر الذي يجعل من الري متطلباً للزراعة حول المدينة. ويعوض الندى شح الأمطار في كثير من السنوات لما له من تأثير على الزراعة الصيفية في إقليم خان يونس. ويقدر معدل حدوث الندى بحوالي (٢٠٠) ليلة ندى في السنة، وهي مدة مناسبة تتزود خلالها التربة بقسط من الرطوبة.

ويمكن أن نجمل تأثير المناخ على مدينة خان يونس بالقول بأن الارتفاع النسبي لكل من درجات الحرارة وقيم التبخر والنتح ومعدل تسرب التربة، مصحوباً بقلة كمية الأمطار السنوية، يعمل على تناقص الرطوبة في التربة، وبالتالي يقل تماسك ذراتها، وتصبح عرضة للتطاير بفعل الرياح القوية التي تتعرض لها المدينة خلال فصلي الربيع والخريف، الأمر الذي يعرض خان يونس للتلوث بالغبار. ومن جهة ثانية فإن انخفاض أراضي وسط مدينة خان يونس عن مستوى أراضي الأجزاء الشرقية والغربية من المدينة يؤدي إلى تراكم الأمطار في وسط المدينة وتضرر المباني، الأمر الذي يستلزم إقامة شبكة لتصريف مياه الأمطار بعيداً عن مركز المدينة. والجدير بالذكر أن وكالة غوث اللاجئين قامت في أوائل عام ١٩٨٦ برصد مبلغ ٥٠ ألف دولار لحل مشكلات تصريف مياه الأمطار في خان يونس وبخاصة في المناطق المنخفضة من المدينة. وأوضحت مصادر الوكالة أنه تم خلال شهر شباط ١٩٨٦ توزيع ١٨٠٠ دولار على ثماني عائلات تضررت من مياه الأمطار[١٨].

---

١٨ ـ صحيفة أخبار غزة، العدد (١٥١)، شباط/ فبراير ١٩٨٦ (انتاج مكتب معسكر جباليا).

موارد المياه:

تكاد تنعدم موارد المياه السطحية في إقليم خان يونس، غير أن المياه تجري أحياناً في وادي السلقة إثر هطول أمطار غزيرة متعاقبة، وتصب في البحر المتوسط، أي أن جريان المياه يرتبط بفيضان الوادي وما عدا ذلك يكون الوادي جافاً معظم أيام السنة. وتعتمد خان يونس على موارد المياه الجوفية المتمثلة في الآبار التي تستخدم مياهها لأغراض الري والشرب والأغراض المنزلية. ويعود الفضل للأمطار التي تغذي الخزانات المائية الجوفية بالمياه، والتي تهطل على خان يونس بكميات محدودة، غير أن الأمطار التي تهطل على مرتفعات الخليل تسهم أيضاً في تغذية الخزانات المائية الجوفية الموجودة في قطاع غزة، وذلك بفعل التسرب وانحدار المياه تبعاً لميل طبقات الأرض وانحدارها من الشرق إلى الغرب.

قدرت كمية مياه الأمطار المتسربة إلى باطن الأرض لتغذية الخزانات المائية الجوفية في إقليم خان يونس بحوالي ٣٥٪ من إجمالي كمية الأمطار التي تهطل على الإقليم. ويضيع ٦٠٪ من مياه الأمطار نتيجة للتبخر أثناء هطول الأمطار وبعده، بينما تنساب ٥٪ من مياه الأمطار الهاطلة فوق سطح الأرض تبعاً للانحدار الموجود في السطح لتصل إلى الأودية التي تنتهي في البحر المتوسط[١٩].

وتتسرب مياه الأمطار في باطن الأرض حتى تصل إلى طبقة سميكة من الصلصال لا تسمح بنفاذ المياه، فعند ذلك تتجمع المياه فوق هذه الطبقة ليتكوّن ما يعرف بالخزان المائي، وهو عبارة عن حجر رملي مشبع بالمياه، وتتخلل هذا الخزان فواصل طينية أو طبقات غرينية حمراء. وهناك خزان مائي جوفي يمتد تحت أراضي قطاع غزة، بما فيها أراضي خان يونس، ويبلغ طوله حوالي ٥٠ كم، ويتراوح عرضه بين ٨ ـ ١٢ كم، أي أن مساحته تبلغ حوالي ١٠٠٠كم^{٢}[٢٠].

---

١٩ ـ ملفات دائرة الزراعة في غزة.

٢٠ ـ مهندسون استشاريون، مخطط عام لشبكات المياه والمجاري لبلدية غزة. غزة (١٩٧٢)، ص ٢٥ ـ ٢٦.

وتنحـدر ميـاهـه نحـو البحـر المتوسط في إقليم خان يونس من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي تبعاً لميل الطبقات الحاملة للمياه.

ويتم استغلال المياه الجوفية عن طريق حفر الآبار التي تختلف أعماقها حسب مستـوى الميـاه المـوجودة في الخزان الجوفي، أو الطبقة الحاملة للمياه دائمة التشبع، فيتراوح عمق الآبار في إقليم خان يونس ما بين ٥ ـ ١٠٠م. وتجدر الإشارة إلى أن منطقة المواصي الممتدة على طول شاطيء البحر المتوسط ذات خزانات مائية جوفية قريبة جداً من سطح الأرض (١ ـ ٢م). ويزداد عمق الآبار نسبياً (٥٠ ـ ١٠٠م) في تكـوينـات الكثبـان الرملية حول المدينة، وفي تكوينات الكركار شرقي المدينة، بينما يقل عمقها في مركز المدينة حيث تكون الأرض منخفضة نسبياً (٢٠ ـ ٤٠م)[٢١]. ومن جهـة ثانيـة، فإن الطبقـات الحـاملة للميـاه في إقليم خان يونس تتصف بأنهـا من نوع النـزاز، وهذا يعني أنها تحتوي على مياه جوفية ليست عميقة وغير متفجرة، وينعكس ذلك على ضعف الطاقة التصريفية للآبار، كما ينعكس على وجود حساسية مفرطة لدى الآبار من الضخ الزائد لمياهها.

اذا كان قطـاع غزة يعـاني من مشكلة الميـاه الجـوفية بصورة عامة، فإن خان يونس تعـد أكثـر معـانـاة من هذه المشكلة الصعبة. ويبلغ مقدار العجز في التوازن المائي في قطاع غزة حوالي ٤٠ مليون م^{٣} سنوياً. وينجم هذا العجز عن استهلاك قطـاع غزة لحوالي ١٢٠ مليـون م^{٣} من الميـاه الجـوفيـة سنـويـاً، في حين أن الطبيعة تعوض حوالي ٨٠ مليون م^{٣} سنوياً، وهي ما تعطيه الأمطار الهاطلة (٣٢,٥ م م^{٣})، والتصريف المائي (١٥م م^{٣}) والري (٢٢,٥م م^{٣})[٢٢]. إن سكان مدينة خان يونس البـالـغ عددهـم، بما فيـه سكان مخيم خان يونس، حوالي ٩٠ ألف نسمة في الوقت الحاضر، يحتاجون إلى حوالي ٨ ملايين م^{٣} من المياه لاستهلاكهم السنوي، ولكنهم

---

٢١ ـ مقابلة شخصية مع رئيس بلدية خان يونس خلال شهر كانون الثاني ١٩٨٥.

٢٢ ـ D. Kahan, Agreculture and Water in the West Bank and Gaza Strip. The West Bank Data Base Project, Jerusalem (1983), P. 30.

لايحصلون من مياه الآبار إلا على حوالي ٣,٥ مليون م^{3} سنوياً[٢٣] ويمكن أن نعزز أسباب عجز الآبار العربية عن تلبية حاجات السكان الاستهلاكية المتزايدة على المياه إلى عوامل جغرافية طبيعية وبشرية. فأما العوامل الطبيعية فإنها تتلخص في قلة الأمطار وعجزها عن تعويض كميات المياه الجوفية السطحية المسحوبة من الآبار، الأمر الذي يترتب عليه استمرار تناقص مستوى المياه في الخزان الجوفي وهبوطه، إضافة إلى ذلك فإن كمية المياه الجوفية السطحية تكون محدودة عادة في طبقة النزاز الحاملة للمياه، بالمقارنة مع كمية المياه الجوفية العميقة المختزنة في الطبقات العميقة الحاملة للمياه.

وأما العوامل البشرية فإنها تتلخص في ارتفاع معدلات النمو السكاني، وتحسن مستوى الدخل، ووجود المستعمرات اليهودية الاستيطانية في ضواحي مدينة خان يونس، وفرض سياسة مائية تعسفية على المواطنين العرب. ولاشك أن الزيادة العددية لسكان مدينة خان يونس وما صاحبها من تحسن في مستويات الدخل الفردي من شأنها أن تتطلب مزيداً من كميات المياه المستهلكة للأغراض المنزلية، إضافة إلى ذلك فإن الفاعلية المحدودة للأمطار نتيجة ارتفاع قيم التبخر والنتح، وكذلك لارتفاع معدلات التسرب (النفاذية) من التربة، أدت إلى بحث المزارعين عن مصادر مياه أخرى غير الأمطار لضمان رفع إنتاجية أراضيهم الزراعية، لذلك أصبح الري وما يتطلبه من مياه يستهلك كمية كبيرة نسبياً من المياه الجوفية في إقليم المدينة. وتشير الأرقام إلى أن المسؤولين اصدروا (٨٠٠) رخصة مياه للمواطنين في خان يونس عام ١٩٧٧، وازداد عددها الى ١٢ ألف رخصة مياه في عام ١٩٨٦[٢٤]، وذلك للاستفادة منها في الأغراض المختلفة كالشرب والري وغيرها.

وتزداد مشكلة استنزاف الموارد المائية الجوفية تعقيداً، إذا علمنا أن سلطات

---

٢٣ ـ مقابلة شخصية مع رئيس بلدية خان يونس، مرجع سابق.

٢٤ ـ ملفات بلدية خان يونس.

الاحتلال الصهيوني أقامت نطاقاً من المستعمرات اليهودية فوق الكثبان الرملية الممتدة على طول شاطيء البحر ما بين معسكر اللاجئين وأراضي المواصي ، في الجهتين الغربية والشمالية الغربية من خان يونس ، وتخطط حالياً لإقامة المزيد من هذه المستعمرات فوق الكثبان الرملية الممتدة في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة .
ولا شك أن إقامة هذه المستعمرات يعني مشاركة المواطنين العرب في مواردهم المائية الجوفية ، وهذا ما يحدث بالفعل في الوقت الحاضر ، إذ نجد أن المستعمرين اليهود يحفرون آباراً أكثر عمقاً من آبار المياه العربية ، بحيث أن حفاراتهم تصل إلى مستويات المياه العميقة المختزنة في طبقات المياه المتفجرة (الفجرة) ، الأمر الذي يشكل خطورة كبيرة على المياه في الخزان الجوفي ، ويؤدي إلى انسياب المياه عبر الطبقات الناقلة للمياه من الخزان الجوفي السطحي ، الذي يزود الآبار العربية بالمياه ، نحو الخزان الجوفي العميق الذي يغذي الآبار اليهودية بالمياه[٢٥] . أي أن المستعمرين اليهود لايكتفون بسرقة المياه الجوفية العربية من أراضي خان يونس فحسب ، بل أنهم يهدفون إلى حرمان المواطنين العرب من حقوقهم المشروعة في مياه أراضيهم ، بغرض التضييق عليهم اقتصادياً ، وإبعادهم عن الارتباط بأراضيهم الزراعية . ومما يؤكد هذه الحقيقة أن استهلاك الفرد اليهودي الذي يقيم في هذه المستعمرات يبلغ حوالي ١٠٠م^{٣} سنوياً من المياه ، في حين أن استهلاك المواطن العربي يبلغ ٤٠م^{٣} من المياه سنوياً .

وتنفذ سلطات الاحتلال الاسرائيلي سياسة مائية تعسفية إزاء المواطنين العرب في خان يونس ، وكذلك في قطاع غزة ، إذ سنّت قانوناً للمياه للحد من استهلاك المياه ، وبخاصة لأغراض الري ، ومنعت حفر الآبار بدون إذن مسبق من السلطات المسؤولة التي قامت بدورها بتركيب عدادات لتنظيم كمية المياه

---

٢٥ ـ حسن صالح ، حرب المياه بين العرب واسرائيل . مجلة شؤون عربية ، العدد (٥٥) ، ايلول (١٩٨٨) ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

المسحوبة. ويمكن أن نؤكد ذلك من الممارسات التي لجأت إليها على النحو التالي[٢٦]:

١ - أصدرت سلطات الاحتلال أمراً ينص على أن كل من يستهلك من المزارعين العرب مياهاً تزيد على الكمية المسموح بها بنسبة تتراوح ما بين ١١٪ و٢٥٪ يغرم بدفع ٣٠ أغورة لكل م٣، وإذا ازداد الاستهلاك بنسبة تتراوح ما بين ٢٦٪ و٥٠٪ فإن الغرامة تصل إلى ٨٠ أغورة عن كل م٣. أما اذا ازداد الاستهلاك بنسبة ١٠٠٪ فإن الغرامة تصبح ١,٦ شيكل لكل م٣.

٢ - قامت سلطات الاحتلال بإغلاق ٢٥ بئراً ارتوازية في منطقة مواصي الزوايدة، بحجة عدم حصول أصحابها على تصاريح خاصة لحفرها. وفي عام ١٩٨٣ طلبت هذه السلطات من أصحاب ٤٢ بئراً في رفح إغلاقها تحت طائلة تقديمهم للمحكمة العسكرية، علماً بأن الآبار المذكورة ينطبق عليها قرار دائرة الزراعة في القطاع لعام ١٩٨٢، والذي سمح بحفر هذه الآبار دون الحصول على ترخيص مسبق إذا كانت لا تبعد عن الشاطيء اكثر من ٥٠٠م.

٣ - فرضت إسرائيل الأنماط الزراعية التي تريدها على المزارعين، وذلك للحد من زراعة المحاصيل الأكثر استهلاكاً للمياه. وفرضت أيضاً كمية المياه التي يمكن اعطاؤها سنوياً للدونم الواحد من المحاصيل المختلفة، فحدّدت كمية المياه بالنسبة للحمضيات بحوالي ١٠٠٠ م٣ في السنة، وللزيتون بحوالي ٤٠٠ م٣، وللفواكه ما بين ٤٠٠ - ١٠٠٠ م٣، وللخضار ٧٠٠ م٣. وفي ظل تطبيق هذا القانون ظهرت مشكلة خطيرة تتمثل في تجاهل القانون

لنوع التربة عندما حدد كمية المياه المسموح بها للدونم الواحد. فالأرض الزراعية

---

٢٦ - أ - بشير البرغوثي، المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة، دار الجليل للنشر، عمان (١٩٨٦)، ص ٨٩ - ٩٢.
ب - حسن صالح، مرجع سابق، شؤون عربية، ص ٦٦.

الرملية تعاني من مشكلة ارتفاع معدل تسرب المياه فيها، وبالتالي تزداد حاجتها لمياه الري بالمقارنة مع الأرض الزراعية الأخرى. وإذا علمنا أن غالبية ترب خان يونس ذات قوام رملي خشن، اتضح لنا أن بساتين الحمضيات فيها، حسب هذا القانون، ستحرم من المتطلبات المائية الكافية لها، الأمر الذي يضطر أصحاب هذه البساتين إلى اقتلاع أشجار الحمضيات وتحويلها إلى مزارع للخضار أو للأشجار المثمرة الأخرى.

وفيما يتعلق بالتوزع الجغرافي لآبار المياه في خان يونس يمكن القول بأن البلدية تملك خمسة آبار، منها ثلاثة آبار تعمل بصفة فعلية على مدار ٢٤ ساعة، أما البئران الآخران فإنهما تعملان في حدود عشر ساعات يومياً. وتقع هذه الآبار جميعها إلى الغرب من شارع جمال عبد الناصر، ويتفاوت تصريفها المائي من بئر إلى أخرى، فالبئر الشرقي ذو تصريف مائي يبلغ ٢٥ كوب/ ساعة، وبئر الأمل ٦٠ كوب/ ساعة، وبئر السعادة ٨٠ كوب/ ساعة، وبئر عيا ٩٠ كوب/ ساعة، وبئر الأطرش ٩٠ كوب/ ساعة. وهناك بئر هيئة الامم قليل الأهمية لأنه يضخ كمية محدودة من المياه. ويملك القطاع الخاص عدداً كبيراً نسبياً من آبار المياه التي تم حفرها خلال ثلث القرن الأخير لأغراض الري. ويبلغ عدد الآبار العربية في مدينة خان يونس ١٧٤ بئراً، علماً بأن إجمالي عدد الآبار العربية يبلغ ١٨٠٠ بئر في قطاع غزة. وقد قامت البلدية بتشييد أربعة خزانات كبيرة في مواقع مرتفعة من المدينة لتأمين خزن المياه المضخوخة إليها من الآبار وتوزيعها على المساكن والمنشآت افي المدينة. ويوجد خزانان منها في السعادة وخزان عيا، إضافة إلى خزان الشيخ محمد[٢٧]. (شكل ٥ و٦).

تتفاوت درجة ملوحة المياه الجوفية في إقليم خان يونس من جهة إلى أخرى. فبينما تكون آبار منطقة المواصي الممتدة على طول شاطيء البحر المتوسط ذات مياه عذبة (أقل من ٥٠٠ جزء من المليون)، وتتراوح درجة ملوحة مياه الآبار في المنطقتين الواقعتين إلى الشمال وإلى الجنوب من المدينة ما بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ جزء

---

٢٧ ـ ملفات بلدية خان يونس.

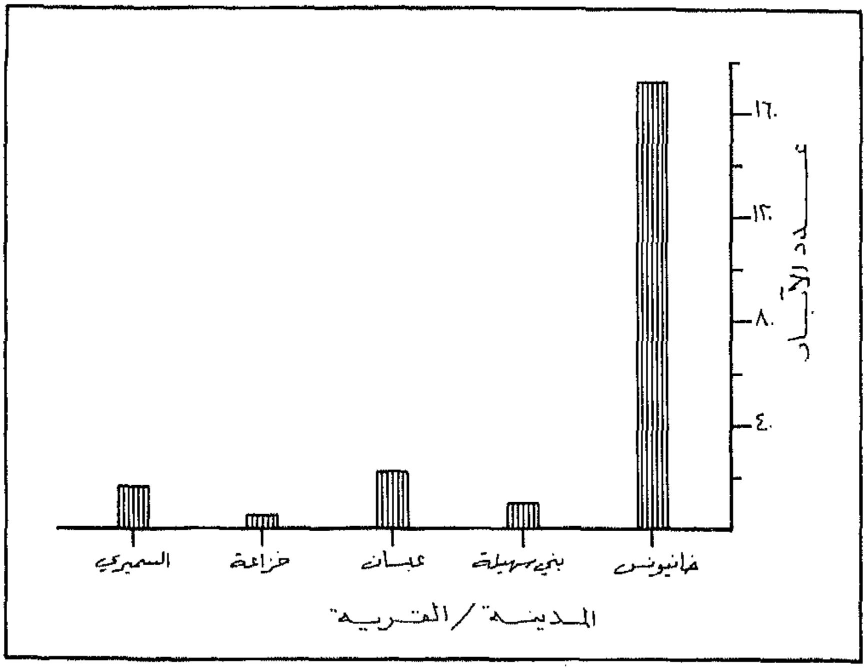

شكل ـ ٥ ـ عدد الآبار العربية في مدينة خان يونس وقراها

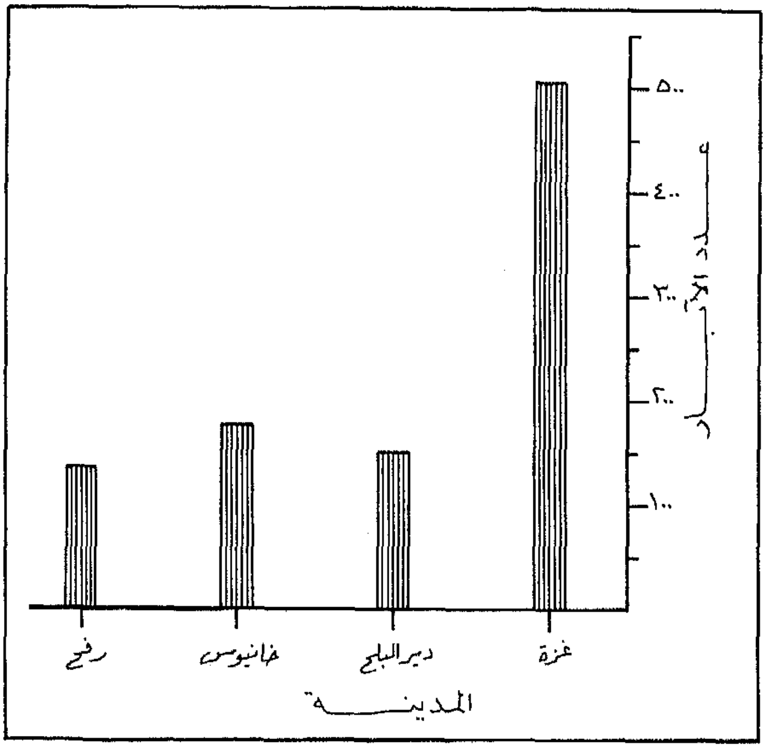

شكل ـ ٦ ـ عدد الآبار العربية في مدن قطاع غزة

في المليـون . وتـزداد ملوحـة المياه في الآبار الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي من المـدينـة ، وبخـاصـة آبـار منطقة بني سهيلة ـ عبسان ـ خزاعة ، التي تتراوح درجة الملوحـة في مياهـها ما بين ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ جزء في المليون(٢٨) . وتشير نتائج تحليل عينات مياه الآبار في خان يونس إلى أن ثلاثة أرباع الآبار ذات طعم غض بسبب ارتفاع نسبة كلوريد الصوديوم في المياه(٢٩) .

ومن الطبيعي أن يؤدي الزائد للآبار في إقليم خان يونس إلى هبوط مستوى ميـاه الخـزان الجـوفي . وإذا ازدادت كميـة المياه المضخة عن كمية المياه الواردة إلى الخـزان فإن منسـوب الميـاه في الخزان يشكل منخفضاً مخروطياً كبيراً ، أوما يعرف بالتجـويف المـائي ، ويصبـح أكثـر انخفـاضاً من منسوب مياه البحر، الأمر الذي يؤدي إلى تسـرب ميـاه البحـر إلى الخـزان وبـالتـالي إلى الآبار، وقد حدث هذا بالفعل بالنسبة لآبار المياه الواقعة إلى الشمال الغربي من خان يونس .

ويـمـكـن أن نلخص مشكلة الميـاه الجـوفيـة في خان يونس بالقـول أن الاستنزاف المستمر لمياه الآبار بفعل الضخ الجائر لها يؤدي إلى هبوط مستوى المياه في الخـزان الجـوفي الـذي يقـدر بحوالي ٢٥ سم كل عام ، وهذا بدوره يعمل على تملح ميـاه الآبـار الـذي يزداد بمعدل ٣ جزء في المليون من الأملاح سنوياً . وهناك مشكلة العجز في التوازن المائي للخزان الجوفي ، بحيث أن ما يخسره الخزان بفعل الضخ من الآبار أكبر من الكمية التي ترد إليه ، وهذا يحتم على المسؤولين التركيز على موضوع ترشيد الاستهلاك ، وإلا فإن المشكلة سوف تزداد تعقيداً . ولا تقتصر المشكلة على الكم الـذي يتمثـل في نقص الميـاه وعـدم كفـايتهـا للسكـان فحسب ، بل أنهـا تتعـدى ذلـك إلى الكيف الـذي يتمثـل في نوعيـة الميـاه . وقـد أوضحنـا أن مشكلة تملح الميـاه ترتبط بمشكلة الضخ الزائد لها من الآبار، ويمكن

٢٨ ـ M. Ashour, Study of the Changes in the Ground Water Guality in Gaza Strip during the Last Twenty Tears. Gaza (983), pp. 14 - 20.

٢٩ ـ دائرة الزراعة ، مجلة الزراعة ، العدد ١٢ ، ١٣ ، غزة ١٩٨٥ .

أن نضيف مشكلة أخـرى تتمثـل في تسرب مياه المجاري إلى المياه الجوفية، حيث أن أنابيب المجاري أصبحت قديمة وتحتاج إلى صيانة.

ويعـاني حي الأمـل، وهـو من الأحيـاء الحديثة الراقية نسبياً في المدينة، من مشكلة نقص المياه الناجم عن تسربها من الأنابيب المهترئة إلى باطن الأرض. وقد حاولت بلديـة خان يونس جاهـدة حل مشكلة الميـاه في حي الأمـل بتغيـير شبكة الميـاه، وتم تغيـيرهـا بالفعل عدة مرات، ولكن دون جدوى. ولجأت البلدية إلى حفـر بئـر جديـدة لتـزويـد الحي بحـاجـاته من المياه، غير أن البئر لم تفلح في حل المشكلة لعجـزهـا عن تلبيـة الحـاجـات الاستهلاكية للمياه، ويبقى حل المشكلة مرهـونـاً بمـوافقـة سلطـات الاحتـلال الإسـرائيلي على السماح للبلدية بحفر آبار أخرى، ولكن الموافقة تتعارض مع سياسة هذه السلطات التي لا تسمح بحفر آبار جديدة.

الفصل الثاني

المسيرة التاريخية

نشأة خان يونس:

يرجح بعض الكتاب والمؤرخين أن مدينة خان يونس بنيت على انقاض مدينة قديمة كانت تعرف باسم جنيس Jenysus ذكر هيرودتس أنها تقع جنوبي مدينة غزة في القرن الخامس قبل الميلاد. ولم تعرف خان يونس إلا في القرن الرابع عشر الميلادي، عندما أنشأ الأمير يونس النوروزي الدوادار قلعة في هذا الموقع لخدمة التجارة والمسافرين، وبنيت القلعة على شكل نزل، ولذلك أطلق عليها الخان[1].

ورد ذكر الأمير يونس في كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي قال عنه: «كان عاقلاً مدبراً حازماً، وهو صاحب الخان خارج مدينة غزة، أقام يونس هذا الخان عام ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م على شكل قلعة حصينة متينة الأركان عالية الجدران، ولا يزال بعض أبراجها قائماً»[2].

---

١ - أ - Meistermann, Guide de Terre Sainte. Paris, P. 44.

ب - اورني وافرات، مرجع سابق، ص ٣٩٦.

٢ - ابن تغري بردى، ١١/ ٣٨٤.

كانت القلعة أشبه بمجمع حكومي كامل، وكانت تقيم فيها حامية من الفرسان، وفيها مسجد تطل مئذنته من فوق سور القلعة. وقد حفر بداخل القلعة بئر للمياه، وأقيم فيها نزل للمسافرين واسطبل للخيول، وعلى أسوار القلعة الخارجية أربعة أبراج. وقد أنجز بناء القلعة في عام ٧٨٩هـ. ويبدو أنه بعد مرور نحو ثملاثمائة عام على إنشاء القلعة استطابت إحدى الحاميات الإقامة فيها مع أسرها، ثم جاء آخرون وسكنوا خارج الأسوار حيث أنهم كانوا يتعاملون مع القوافل ويتبادلون المنافع والسلع والخدمات. وبذلك نشأت النواة الأولى لمدينة خان يونس[٣].

ومن أشهر سلاطين المماليك البرجية الذين لهم علاقة بنشأة خان يونس الملك الظاهر سيف الدين برقوق (١٣٨٢ ـ ١٣٩٨)، وهو أول السلاطين البرجية الذين اهتموا بالشعائر الدينية، فأقام قلعة خان يونس ومسجداً فيها لحماية قوافل الحجاج التي تمر من هناك إلى الحجاز براً. وقد اهتمت الدولة العثمانية بتحصين القلعة لضمان استتباب الأمن على طول الطريق بين غزة والقنطرة، فاصبحت خان يونس ملاذاً للمسافرين ومركزاً للتجار، وتجمع فيها السكان للانتفاع بموقعها التجاري.

لا تختلف خان يونس عن بقية المدن الاسلامية الأخرى من حيث أسباب النشأة. فهي تجمع بين العوامل التجارية والعسكرية والزراعية، وهذا يؤكد ما ذكره قدامة بن جعفر في أسباب نشأة المدن «لم يكن في وسع الانسان الواحد استيعاب جميع الصناعات المتفرقة، وكان لابد للناس من ضرورة قادتهم الحاجة الى الترافد، واستعانة بعضهم ببعض ليكمل باجتماع جميعهم، ولم يكن بد من بد ضرورة منه، لأن هذا يبذر قمحاً لهذا يتقوته ، وهذا يعمل لهذا ثوباً يلبسه، وهذا يصنع لهذا بيتاً يسكنه، وهذا ينجز لهذا باباً يغلقه على بيته، وهذا يخرز لهذا خفاً

---

٣ ـ أ ـ حسن صالح، مدينة خان يونس، الموسوعة الفلسطينية، المجلد (٢)، ١٩٨٤، ص ٣١٦.

ب ـ مصطفى الدباغ، مرجع سابق، ص ١٣٧.

يمنــع به الآفــات عن رجله، وغـير ذلـك مما لا يكـاد العـدّ أن يدركـه من فنـون الصنـاعـات وضـروب الحـاجات، لأنه لم يكن في استطاعة إنسان واحد أن يكون فلاحاً نساجاً بنّاء نجاراً اسكافيّاً»[4]. وفي هذا السياق ما يوضح أسباب نشأة المدينة الإسـلاميـة باعتبـارهـا إطـاراً مرتبطـاً بطبيعـة الإنسان، وهو أمر متصل بالضرورة بحـاجـات مختلفة تؤكد حتمية الاجتماع الحضري. وقد صنف الجغرافيون العرب والمسلمـون المـدن حسب هيئتهـا ونـوع النشـاط الغـالب عليهـا، فهنـاك المـدينة الحصن، والمـدينـة التجـاريـة، وهـذا التصنيف ينطبق على مدينـة خان يونس في نشأتها الأولى.

يرجـع الفضـل الى العـرب في عمليـة استيطان خان يونس وما جاورها من قرى الإقليم. ولا بد من القول أن عدد العرب في بلاد الشام ـ ومنها فلسطين ـ قد نما بفعل الزيادة الطبيعية والهجرة المتتابعة. وكانت الأجزاء الجنوبية من فلسطين، ومنهـا إقليم خان يونس، ملجأ العـرب منـذ أيـام بعيـدة قبل الاسلام. وقد استقر العـرب القـادمـون مع الجيوش الإسلامية الفاتحة في كثير من مدن فلسطين، وكان يغلب عليهم القبائل القحطانية المنسوبة إلى سام أبي العرب، وذكر اليعقوبي أن سكان جنوبي فلسطين أخلاط من العرب لخم وجذام وعاملة وكندة.

نزل المعينيـون تجاراً إلى فلسطـين في عهـدها الكنعاني العربي، وكانت لهم دولة مزدهرة في اليمن بين عام ١٣٠٠ ـ ٦٣٠ ق.م. وكانت قوافلهم تنقل السلع والبضـائـع من جنـوبي بلاد العـرب إلى شواطيء البحر المتوسط الجنوبية. ومما لا شك فيـه أن بطـونـاً معينـة غزت جنـوبي فلسطـين وكوّنت لها دولة في منطقة غزة، وحافظت على كيانها إلى عهد الاسكندر الكبير.

وقـد تتـابع استقرار القبائل العربية قبل الإسلام وبعده في إقليم خان يونس الذي يشكل الحافة الغربية لصحراء النقب، حيث تتوافر فيه مقومات الاستقرار.

---

٤ ـ محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت (١٩٨٨)، ص ٢٠.

ويمكن أن نذكر القبائل العربية وسلائلها التي استقرت في إقليم خان يونس على النحو التالي[٥]:

أولا: بنو جرم: بطن من بطون طيء الفلسطينية، بلادهم غزة والداروم (دير البلح) وخان يونس. وأشهر بطون جرم التي حلّت في قطاع غزة واستقرت في اقليم خان يونس ما يلي:

١ ـ بنو جذام: هم المشهورون من جرم، يقال أن لهم نسباً في قريش، ومن أحفادهم آل القدرة وآل البطة في خان يونس.

٢ ـ بنو سهيل: سكنت قبيلة بني سهيل بلاد الداروم، ونسبت إليهم قرية بني سهيلة في ظاهر خان يونس الشرقي، ومن أحفادهم حمولة الدقّات.

٣ ـ العبادلة: سلائلها مازالت تحمل اسم «عبد الاله» في مدينة خان يونس وقرية القرارة التابعة لها.

٤ ـ آل شعث: سلائلها تنتشر في منطقة خان يونس ـ بئر السبع.

٥ ـ بنو جري: نزل هؤلاء ساحل سيناء الشمالي وساحل فلسطين الجنوبي، ومن سلائلهم بنو الثعل، ومن بني الثعل قوم بعبسان من أعمال خان يونس[٦].

٦ ـ بنو حميدة: تنتسب إليهم حمولة البريمات في قرية بني سهيلة في ظاهر خان يونس الشرقي.

ثانيا: بنو سنيس: بطن من بطون طيء، نزلوا جنوب فلسطين. ومن افخاذهم وعشائرهم الخزاعلة ورفيح والمعين (يسكنون في خربة المعين إلى الشرق من خان يونس).

ثالثا: ثعلبة: بطن من طيء، وهم بنو ثعلبة بن ثعل من طيء، نزلوا بالشام

---

٥ ـ مصطفى الدباغ، القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت (١٩٧٩)، ص ٨٠ ـ ١٦٧.

٦ ـ الهمداني، الحسن أبو محمد، صفة جزيرة العرب. ليدن ١٨٨٤م، ص ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

مما يلي أرض مصر إلى الخرّوبة (منزلة بين العريش وغزة) وقال الحمداني لم أر ثعلبة إلا غزاة مجاهدين لهم آثار في الفرنج. وفي عهد الظاهر بيبرس كانوا يقومون بخدمة البريد وإحضار الخيل اللازمة له[٧]. ومن بطون ثعلبة نذكر: ١ ـ بنو درّما. ٢ ـ بنو زريق وكانوا يجاورون الداروم شمالي خان يونس.

رابعاً: بنو زبيد: قبيلة يمانية، نزلت جماعة من زبيد الداروم من بلاد غزة، يعرفون ببني فهيد في جوار بني سهيلة.

خامساً: الأزد: انحدرت منهم قبيلة خزاعة التي استقرت في قرية خزاعة في ظاهر خان يونس الشرقي.

ويقيم في خان يونس حالياً عدد من العشائر (العائلات) التي تتوزع على أحياء المدينة المختلفة، وتشكل العشيرة الواحدة غالبية سكان الحي الذي يعرف باسمها عادة. وقد انحدرت هذه العشائر من أصول قبلية عربية استقر بعضها في وقت مبكر في المدينة، بينما استقر بعضها الآخر في وقت متأخر نسبياً. ويمكن أن نذكر العائلات الخان يونسية المعروفة التالية:

الآغا، الفرّا، الأسطل، النجار، شبير، زعرب، بريخ، الشاعر، البشيتي، العقّاد، القدرة، السقّا، المجايدة، شعث، البطّة، شرّاب، القدوة، المصريون، بيّوك، فارس.

والجدير بالذكر أنه توجد عائلات مصرية الأصل، ومن المحتمل أنها انحدرت عن العائلات المصرية التي قدمت إلى فلسطين أثناء الحكم المصري في القرن التاسع عشر واستقر بعضها في خان يونس، وقد تكون في أعقاب الحاميات المصرية التي كانت في القلعة أثناء العصر العثماني. ومن جهة ثانية فإنه توجد جماعات من أعقاب الأتراك والشراكسة الذين عهد إليهم بحماية القلعة، وعلى سبيل المثال فإن عائلة الآغا اشتقت اسمها من الكلمة التركية «آغا» بمعنى قائد

---

٧ ـ المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ق١، ج٢ ق٢، ١٩٤٢، ١٩٥٦، ص ٤٨١.

جيش. وهنـاك صلة بين بعض عائـلات خان يونس وكل من غزة ورفح، وبمعنى آخر فإن بعض أفراد العائلات في خان يونس استقروا في كل من غزة ورفح، وعلى سبيـل المثـال، فإن عائـلات شرّاب والسقّـا وشعث تستقـر في كل من غزة وخـان يونس، وإن عائلات بيّوك وزعرب وبربخ والشاعر تستقر في كل من رفح وخان يونس.

لقـد لعبت خان يونس دوراً مهـماً في جذب السكـان للاستقـرار فيها بحكم موقعهـا على حافـة الصحـراء وكـذلـك لأنهـا في الطـرف الجنوبي لسهل فلسطين السـاحـلي، غير أنهـا، بسبب موقعهـا المتـوسط بين غزة ورفح، كانت بمثابة جسر عبـور أو نقطـة انتقال لنقاط أخرى، وبمعنى آخر كانت المحطة الأولى من محطات الاستقرار المؤدية في النهاية إلى غزة أو رفح. وقد أدى الضغط السكاني المرتفع على المـوارد الـزراعيـة لخان يونس في المـاضي إلى توجـه بعض مواطني خان يونس نحو أراضي رفـح الـزراعيـة بغرض استغلالها مع بقائهم في خان يونس، أي أنهم كانوا يأتون إلى رفح في أوقات المواسم الزراعية ثم يعودون إلى بلدهم حالما تنتهي تلك المواسم، إلا أنهم أخيراً بنوا لهم منازل في رفح واستقروا فيها بالقرب من أراضيهم الزراعية. ومن أمثلة عائلات خان يونس التي استقر بعض أفرادها في رفح عائلات زعرب والشاعر وبربخ وأبو ظهير والبيوك.

عرف أهل خان يونس بتمسكهم بعاداتهم العربية والإسلامية، فهم كرماء لضيـوفهم، حافظـون على تقاليدهم وعاداتهم التي هي أقرب إلى عادات البدو أو الـريفيـين منهـا لعـادات أهل المدن. ولأفراد عائلات خان يونس دواوين يجتمعون فيها ويتبادلون الزيارات فيما بينهم فيها أيضاً، وإذا كانت تدل على شيء فإنما تدل على الـروابـط القوية التي تربط بين أفراد العائلة الواحدة. ولا نستغرب إذا علمنا أن أفراد العائلة الواحدة يميلون للتجمع والسكنى بجوار بعضهم البعض، بحيث أن من الطبيعي أن نجد نوعاً من التركز العشائري في أحياء معينة تتخذ نفس اسم العشـيرة. وعلى سبيـل المثال تتركز عائلات الآغا والفرّا وشرّاب في وسط المدينة، وتتركز عائلة الأسطل في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة، وعائلة العقاد في الجزء

الشمالي، وعائلتا بيّوك والشاعر في الجزء الجنوبي، وعائلتا النجار وزعرب في الجزء الجنوبي الغربي. غير أن هذا التركز أخذ يخف منذ عام ١٩٤٨ نتيجة سكنى بعض العائلات من اللاجئين الفلسطينيين، وكذلك سكنى بعض العائلات الصغيرة الأخرى من أبناء خان يونس الأصليين داخل الأحياء التي تتركز فيها العائلات الكبيرة، والتي تحمل أسماء هذه العائلات.

وبعد عام ١٩٤٨ قامت وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين وتشغيلهم بإنشاء معسكر اللاجئين الفلسطينيين في الطرف الشمالي الغربي من خان يونس، وذلك فوق الكثبان الرملية التي تمتد بين المدينة وشاطيء البحر. ويضم هذا المعسكر خليطاً من أبناء اللاجئين الذين هاجروا من بلادهم الأصلية في فلسطين واستقروا في خان يونس. ومما يسترعي الانتباه ذلك التوزع السكاني القائم على أساس بلد المنشأ الأصلي داخل المعسكر، إذ نجد أن أبناء البلد الواحد يجتمعون سويّاً للسكنى مع بعضهم في إحدى مناطق المعسكر، فهناك منطقة المجادلة التي تضم عائلات متعددة من أبناء مجدل عسقلان، وهناك منطقة البدارسة التي تضم عائلات متعددة من أبناء بيت داراس، وهناك منطقة الجوارنة التي تضم عائلات متعددة من أبناء الجورة، وهناك منطقة تضم عائلات لكل من أبناء السوافير وحمامة، وهكذا بالنسبة للقرى الأخرى. وقد تتجمع أسر تنتمي إلى عشيرة واحدة في إحدى مناطق المعسكر كما هو الحال بالنسبة لعشيرة الحطوب، وعشيرة النبارصة، وعشيرة القطاطوة، وعشيرة آل أبو مصطفى، وغيرها من العشائر. وتجدر الإشارة إلى أن معظم العائلات المقيمة في معسكر اللاجئين بخان يونس تعود في أصولها إلى قبائل عربية استقرت في فلسطين منذ قرون عديدة، واضطرت إلى الهجرة من ديارها إثر حرب عام ١٩٤٨ والاستقرار في خان يونس. (شكل ٧).

محنة مدينة خان يونس منذ عام ١٩٤٨:

أصبحت خان يونس جزءاً من قطاع غزة في أعقاب الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨. وقد خسرت المساحات من أراضيها التي كانت تابعة لها في

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

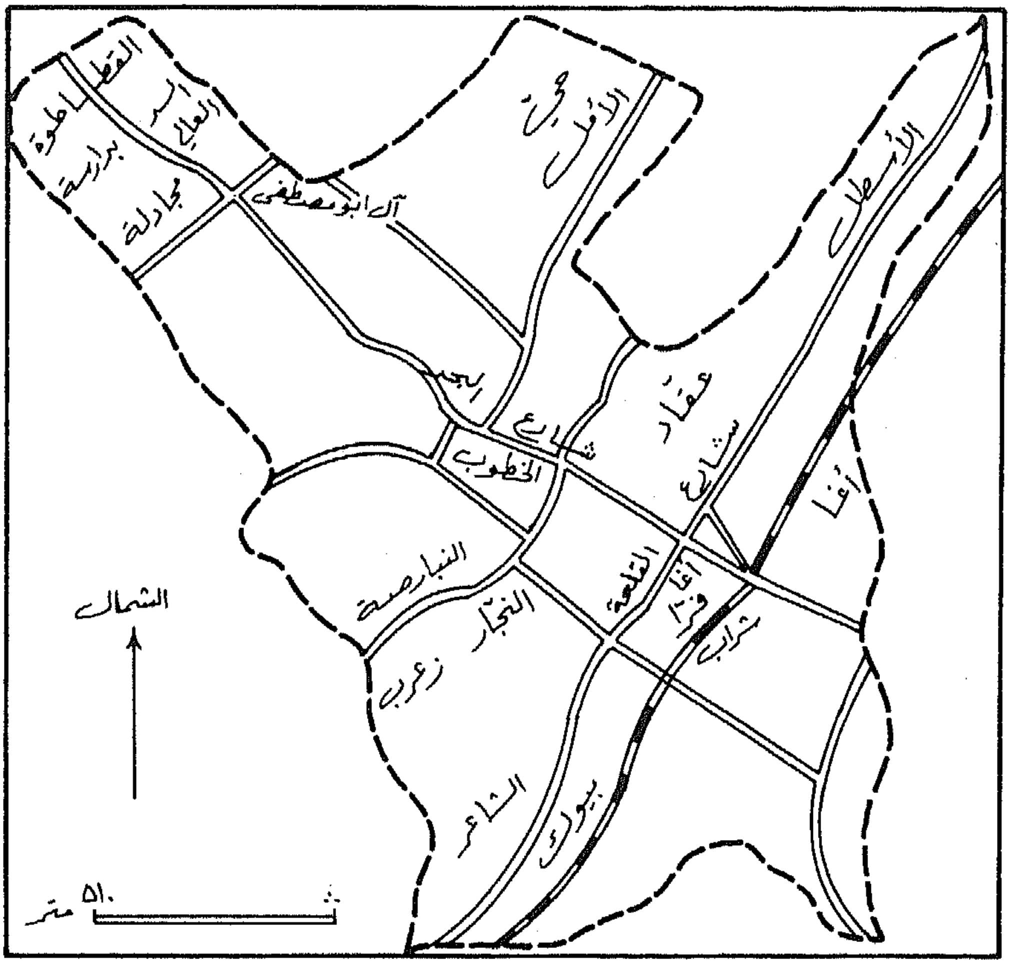

شكل ـ ٧ ـ أحياء مدينة خان يونس

فترة الانتداب نتيجة الاحتلال الاسرائيلي لجزء كبير من قضاء غزة. وصاحب فقدان المدينة لجزء من أراضيها الزراعية تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين للإقامة فيها، الأمر الذي ترتب عليه حدوث ضغط سكاني مرتفع على الأراضي والموارد الزراعية للمدينة. ولم يقتصر الأمر على الأعباء الجسيمة التي فرضت على خان يونس من جراء هذه الأوضاع، بل تعدى ذلك إلى تعرض المدينة لتربص إسرائيل بها كغيرها من المراكز العمرانية في قطاع غزة. وقد أغارت

إسـرائيـل على خان يونس في عام ١٩٥٥ ، واعتـدت عليهـا ضمن عدوانهـا على قطـاع غزة عام ١٩٥٦ ، بحيث أنهـا احتلت المـدينـة خلال الفـترة الـواقعة ما بين الثـالث من تشـرين الثـاني ١٩٥٦ والسـادس من آذار ١٩٥٧ ، كما اعتـدت عليها للمرة الثانية واحتلتها منذ حزيران ١٩٦٧ حتى الوقت الحاضر.

الغارات الإسرائيلية :

تعرضت خان يونس لغارة جوية إسرائيلية في عام ١٩٤٩ وتم القاء القنابل على منطقة مدخل المدينة بقصد تدمير مركز الشرطة ، ولكن القنابل سقطت على جمهـور كبـير من الـلاجئين الفلسطينيين المتواجدين في المنطقة لاستلام مخصصات الإغـاثـة ، قتـل وجـرح عدد كبـير منهم أثناء الغارة . كما قامت إسرائيل بشن غارة على مواقع في خان يونس بتاريخ ١٩٥٥/٥/٣٠ ، حيث أسفرت تلك الغارة عن استشهـاد اثنـين وعشـرين وجـرح عشـرين آخرين(٨) . وقامت إسرائيل أيضاً بشن عدوان على مركـز شرطـة خان يونس بتـاريـخ ١٩٥٥/٨/٣١ ، فقد عبرت وحدة اسـرائيليـة مدرعـة خط الهـدنـة في مسـاء ذلـك اليوم ، وشاغل جزء منها في هجوم مفـاجيء موقـع دفـاع مصـري عنـد قريـة عبسان ، بينما واصل الجزء الرئيسي من الوحدة تقدمه نحو خان يونس ، حيث أخذ يطلق النار لإبعاد الأهالي عن الطريق في قرية بني سهيلة ليتمكن من الوصول إلى هدفه بسرعة ، وقد اشتبك في مدخل المـدينـة مع حـاميـة مركـز الشرطة التي دافعت ببسالة لصد هذه الغارة عن المدينة ، وتمكنت الحـاميـة من إيقـاع كثـير من الإصـابـات بين جنود العدو . إلا أن التفوق السـاحق للعـدو اضطر أفراد الحامية إلى الانسحاب للتمركز داخل مركز الشرطة ، وهو قلعة من القلاع التي بناها الانكليز لدوائر الحكومة إبان الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، حيث استمـرت المقـاومـة حوالي ساعـة ، وفي النهـاية تمكنت مجموعة من سلاح الهنـدسـة الإسـرائيـلي تحت حماية القنـابل وستار الدخان من الاقتراب من المخفر فنسفته على من فيه . وكانت حصيلة الغارة استشهاد ٤٦ عربياً وجرح ٣٠

٨ ـ الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول ج٢ ، دمشق (١٩٨٤)، ص ٣١٧ .

آخرين. وقد أعلنت اسرائيل ان اختيار مركز شركة خان يونس كهدف للهجوم، إنما كان بسبب أن عمليات الفدائيين كانت تنطلق منه لضرب أهداف في داخل اسرائيل. كما ذكر كبير مراقبي الهدنة أن العملية العسكرية بدأت في الساعة التاسعة وخمس دقائق مساء، وانتهت في الحادية عشرة والنصف مساء[٩].

والجدير بالذكر أن الغارات الاسرائيلية على خان يونس عام ١٩٥٥ كانت جزءاً من غاراتها المتكررة على قطاع غزة وعلى مواقع الجيش المصري في سيناء قرب الحدود الفلسطينية المصرية. وكان الهدف الرئيسي من هذه الغارات ممارسة ضغوط على مصر لإجبارها على عقد صلح استسلامي وانهاء حالة الحرب مع إسرائيل. غير أن مصر أقدمت في العام نفسه على تنفيذ صفقة الأسلحة التشيكية التي تمكنها من الدفاع عن نفسها ضد أي عدوان إسرائيلي.

معارك خان يونس مع إسرائيل:

معركة عام ١٩٥٦:

حدثت هذه المعركة في عهد الادارة المصرية لقطاع غزة ضمن العدوان الثلاثي الذي شنته إسرائيل بالتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا على مصر وقطاع غزة عام ١٩٥٦. كانت دفاعات المصريين عن القطاع تنقسم إلى قطاعين، شمالي ومركزه مدينة غزة، وجنوبي ومركزه مدينة خان يونس. ويهمنا هنا القطاع الجنوبي الذي كانت دفاعاته موكلة الى اللواء (٨٦) الفلسطيني. لم يبدأ الهجوم الإسرائيلي على جبهة قطاع غزة إلا يوم ١٩٥٦/١١/٢، في حين بدأت الحرب يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩، بعد أن تم اجتياح الجيش الإسرائيلي لسيناء إثر قرار القيادة المصرية بسحب الجيش المصري من سيناء، الأمر الذي أدى إلى عزل قطاع غزة والتفرغ لمهاجمته. وعلى الرغم من المقاومة البطولية إلا أن ضخامة القوة الإسرائيلية المهاجمة تمكنت من احتلال رفح ومدينة غزة في اليوم نفسه، واستسلم الحاكم الإداري المصري العام، وطلب من القوات المصرية وقف إطلاق النار، غير أن

---

٩ ـ حسين أبو النمل، مرجع سابق، ١١٩ ـ ١٢٠.

اللواء الفلسطيني المدافع عن خان يونس رفض قرار الاستسلام واستمر في المقاومة إلى آخر طلقة.

لقد كانت المقاومة أكثر عنفاً على جبهة خان يونس بالقياس للقتال الذي شهدته مدينة غزة، مما أدى إلى تعطل تقدم القوات الإسرائيلية المهاجمة إلى حين الاستعانة بالدبابات لتحطيم الحزام الدفاعي. وقد اعترف دايان في مذكراته عن حملة سيناء بشدة هذه المقاومة فقال: «لقد استمر تبادل إطلاق النار بشدة ولم نتمكن من اختراق الخطوط المصرية إلا بعد أن أوقعت دباباتنا عشرات الضربات في مواقع العدو، وبعد أن زحف مشاتنا في تلك المواقع في أعقاب المدرعات المتقدمة فيها إلى أن تلاشت المقاومة».

وعندما وصلت القوات الاسرائيلية إلى مشارف خان يونس في فجر ١٩٥٦/١١/٣ لاقت مقاومة شديدة، وأجبرت على التوقف انتظاراً لتزويدها بالنجدات التي تحركت نحو خان يونس قادمة من غزة بعد احتلالها، وتحولت مدينة خان يونس إلى مقبرة للغزاة من شدة المقاومة، إذ حدثت حرب شوارع داخل المدينة بين القوات المهاجمة المتحصنة في دباباتها وبين القوات الفلسطينية، بما فيها الفدائيين، التي استحكمت في أسطح المنازل المطلة على الشوارع. وتمكنت القوات المدافعة من إيقاع خسائر جسيمة في صفوف العدو بتفجيرها لعدد من الدبابات بكامل أطقمها. وقد اضطر العدو إلى الاستعانة بالطيران لضرب مواقع المقاومة وإسكاتها، وتمكن من احتلال خان يونس بعد ظهر يوم ١٩٥٦/١١/٣.

وقد أبلى الفدائيون الفلسطينيون بلاء حسناً في الدفاع عن مدينة خان يونس التي كانت مركزاً لتجمعهم، حيث صمدوا حتى اللحظة الأخيرة، ومن تبقى منهم بعد سقوط مواقعهم شقوا طريقهم إلى داخل فلسطين المحتلة منسحبين إلى الضفة الغربية للأردن، واضطر بعضهم إلى التخفي في الملابس المدنية. وقد اعترف العدو باستبسال قوات خان يونس التي قاتلت بطريقة دفاعية ممتازة، مستفيدة من وضعها في مواقع الدفاع الذي ساعدها على تعديل عدم تكافؤ ميزان القوى بينها وبين الخصم. وكان رد الفعل الإسرائيلي لهذه المقاومة عنيفاً، إذ انطلق الجنود الإسرائيليون يبحثون عن الجنود الفلسطينيين والمصريين

المنسحبين في بيوت المدينة، حيث فتكوا بالكثير من الشباب قدّر المراقبون الدوليون عددهم بحوالي ٢٧٥ شخصاً، بينما تكبد الجيش الإسرائيلي أحد عشر قتيلاً و٦٥ جريحاً[١٠].

وقد اتهمت السلطات الإسرائيلية أهالي خان يونس وبخاصة اللاجئين الفلسطينيين بإشتراكهم في المقاومة، لذا أصدرت أوامرها لقوات الاحتلال التي دخلت المدينة بالفتك في المواطنين. فبدأت عمليات القتل الجماعي للمدنيين المسالمين، وتقتيل المرضى على أسرتهم في المستشفيات، والأطباء أثناء تأديتهم واجباتهم الإنسانية، والطلبة والفتيان والأطفال والنساء والشيوخ بالجملة[١١].

معركة عام ١٩٦٧:

نشبت هذه المعركة حامية الوطيس بين القوات الإسرائيلية المهاجمة وبين جيش التحرير الفلسطيني المدافع عن مدينة خان يونس، واستمرت ثلاثة أيام من صباح يوم الاثنين الخامس من حزيران ١٩٦٧ حتى نهاية يوم الأربعاء السابع من الشهر نفسه. هاجم الجيش الإسرائيلي خان يونس في صباح يوم ١٩٦٧/٦/٥، وهو أول هجوم له على قطاع غزة، وبعد أن دخلها عاد فأخلاها لإن المدافعين عنها وعن القطاع كله كانوا من رجال جيش التحرير الفلسطيني الذين أبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن المدينة. وقد خسر الإسرائيليون في المعركة الأولى سبع مصفحات وخمس وعشرين ناقلة جنود من مجموع ٤٨ ناقلة.

وفي الساعة الخامسة من مساء يوم ١٩٦٧/٦/٥، حاول الإسرائيليون مهاجمة خان يونس للمرة الثانية، واشترك في ذلك الهجوم الثاني لواء مدرع كامل قوامه ١٦٨ دبابة. وبعد أن دمروا مخيم اللاجئين في المدينة تمكنوا من احتلالها في

---

١٠ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، قطاع غزة تحت الادارة المصرية (١٩٤٨ ـ ١٩٥٧)، ج٧، غزة (١٩٨٢)، ص ٥٧ ـ ٥٨، ٨٦، ٩٥ ـ ٩٦.

١١ ـ منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الاعلام والثقافة، مجزرة قطاع غزة. ط٢ (١٩٨٣)، ص ١٠٥ ـ ١١٠.

الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء ٦/٦/١٩٦٧، وفي مساء اليوم نفسه نجح جيش التحرير الفلسطيني في التغلب على المحتلين ودحرهم خارج المدينة للمرة الثانية. واستمر القتال بضراوة أكثر في يوم الأربعاء ٧/٦/١٩٦٧، عندما تزود الإسرائيليون بنجدات كثيرة، فتغلبوا على الفلسطينيين وأخرجوهم من المدينة التي سقطت في أيدي الإسرائيليين.

وقد اعترف الحاكم الإسرائيلي في خان يونس بعد وقف القتال ببضعة أيام، وعندما اجتمع بأعضاء المجلس البلدي في خان يونس، أن الاسرائيليين وجدوا مقاومة شديدة من الفلسطينيين في المدينة، وأنه لو استمرت المقاومة لساعتين آخريتين لاضطر الإسرائيليون للانسحاب منها كلياً كي يتمكنوا من قصفها من الجو وتدميرها تدميراً تاماً.

على أي حال فإن المقاومة التي بدت من أهالي خان يونس ومن جيش التحرير الفلسطيني في الدفاع عن المدينة أوقعت خسائر في المهاجمين من بينها ١٨ مصفحة تركها الإسرائيليون معطوبة في وسط المدينة على مقربة من المدرسة الثانوية. غير أن الانتقام كان هو الرد العاجل على هذه الخسائر، إذ أخذ الإسرائيليون يسفكون الدماء ويدمرون كل شيء يواجهونه. وقد أكد ثقاة من أبناء خان يونس أن عدد القتلى من مدنيين وعسكريين تجاوز الألف قتيل، كان من بينهم ١٢٨ شهيداً من المدافعين عن المدينة. ولم تسلم المستشفيات من شرورهم، إذ قام العدو بقصف مستشفى ناصر الرئيسي في المدينة من مسافة لا تبعد عنه أكثر من بضعة أمتار، فهدمت غرفة العمليات وغرفة أخرى على من فيها من المرضى، وقتل ما لا يقل عن ١٠٠ شخص داخل المستشفى[١٢].

انتفاضة خان يونس ضد الاحتلال الإسرائيلي:

تشكل انتفاضة خان يونس بما فيها معسكر اللاجئين جزءاً من الانتفاضة

---

١٢ ـ مركز الأبحاث / منظمة التحرير الفلسطينية، أوراق عارف العارف، غزة نافذة على الجحيم. المجموعة السادسة، بيروت (بلا تاريخ)، ص ٣٧ ـ ٣٩.

العامة للشعب العربي الفلسطيني في فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧ . وقد بدأت هذه الانتفاضة الشعبية المباركة بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٩ ، وكان المفكر الإسرائيلي الليبرالي (يشعياهو ليبوفيتس) قد تنبأ بحدوثها بعد مرور بضعة شهور على حرب حزيران ١٩٦٧ عندما قال :

«خلال وقت قصير لن يبقى في الدولة عامل يهودي ولا مزارع يهودي ، وسيصبح العرب الشعب العامل . . . والدولة التي تحكم سكاناً يناصبونها العداء وتعدادهم يتراوح ما بين ١,٥ ـ ٢ مليون من الغرباء ستتحول بالضرورة إلى دولة شين بيت (استخبارات) . . والإدارة (الحاكمة) ستضطر إلى الانشغال في قمع حركة عصيان عربية»[١٣] .

وقد اطلق الدكتور يتسحاق بيلي الاستاذ المحاضر المتخصص في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية على هذه الانتفاضة اسم الحرب الثورية التي تديرها منظمة التحرير الفلسطينية ، حيث تستخدم فيها الحجارة والزجاجات الحارقة من دون قيود وكوابح[١٤] . وسواء أكانت التسمية انتفاضة أو عصياناً مدنياً أو حرب استنزاف أو حرباً ثورية ، فإن الدكتور يورام بيري يفضل تسميتها حرباً ثورية لأنها حرب تحرير وطني ضد محتل أجنبي وغير شرعي ، كما أنها ليست حرباً نظامية بل حرب عصابات ، وهي أيضاً ثورة اجتماعية وحرب سياسية[١٥] .

لقد حققت إسرائيل باحتلالها للأراضي العربية في حرب عام ١٩٦٧ إنجازات اقتصادية واستراتيجية ، وأقامت في تلك الأراضي حكم احتلال قوامه الاستغلال ونهب الثروات ومصادرة الأراضي ومصادرة المياه على الصعيد الاقتصادي ، واستخدام القوة والقمع وانتهاج سياسة العصا الغليظة على الصعيد السياسي ، ومن ثم الإبقاء على حالة المواطنين العرب الذين يعيشون تحت الاحتلال في حالة تخلف ، وانتهاج سياسة تجهيل تجاههم على الصعيد

---

١٣ ـ صحيفة القدس بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٩٨٨ ، ص ٢ .
١٤ ـ صحيفة هآرتس بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٩٨٨ .
١٥ ـ صحيفة دافار بتاريخ ١١/ ٣/ ١٩٨٨ .

الاجتماعي[١٦]. وإذا أضفنا حقيقة أن إسرائيل كيان صهيوني اغتصب فلسطين وطرد معظم شعبها العربي من دياره في عام ١٩٤٨، وما تبع ذلك من غارات وحروب شنتها على قطاع غزة والضفة الغربية في أعوام ١٩٥٥، و١٩٥٦ و١٩٦٧، ومجازر ارتكبتها في حق المواطنين الفلسطينيين، اتضح لنا مدى الظلم الذي لحق بأهالي فلسطين وما يمكن أن يترتب عليه من ردود فعل قوية للتخلص من الأحوال السيئة والمطالبة بحقوقهم في وطنهم. وقد سبق هذه الانتفاضة الأخيرة الشاملة والمستمرة انتفاضات محدودة ومتقطعة خلال سنوات الاحتلال الماضية كانت تعبيراً عما يجيش في نفوس المواطنين العرب من حقد على إسرائيل التي كانت تخمد تلك الانتفاضات الجديدة بالحديد والنار.

لقد أدت تحديات سلطة الاحتلال لشعور الأهالي في قطاع غزة إلى قيامها بعمل غير اخلاقي تمثل في تدبير حادث سيارة كبيرة يهودية انحرفت عمداً قرب بيت حانون نحو سيارتين صغيرتين من نوع بيجو تقلان بعض العمال العرب العائدين من إسرائيل إلى غزة، وأدى هذا الحادث إلى قتل ثلاثة شباب عرب وجرح آخرين. وفي اللحظة التي سمع فيها أهالي خان يونس نبأ الحادث انفجروا كغيرهم من سكان قطاع غزة كالبركان في انتفاضتهم الحالية المباركة. لقد انطلقت الشرارة الأولى للانتفاضة من معسكر اللاجئين بخان يونس في مساء يوم ١٩٨٧/١٢/٩ وهو اليوم الذي شهد ذلك الحادث المؤلم، وكان سبباً مباشراً في اشتعال شرارة الانتفاضة التي عمت مختلف أرجاء قطاع غزة والضفة الغربية بعدئذ. وقد وجدت انتفاضة معسكر اللاجئين في خان يونس صدى قوياً لها في معسكر اللاجئين بجباليا الذي تلا معسكر خان يونس في البدء بانتفاضته.

وقد مرت انتفاضة خان يونس كغيرها من انتفاضة بقية أجزاء قطاع غزة بمراحل ثلاث من حيث المشاركين فيها، فالمرحلة الأولى قامت على أكتاف الأطفال والشباب الذكور والإناث من المواطنين الأصليين واللاجئين من أبناء خان

---

١٦ ـ سمير جبور، الانتفاضة الشعبية في الاراضي المحتلة. شؤون عربية، العدد (٥٥)، (١٩٨٨)، ص ٨٢.

يونس. ولم تقتصر المرحلة الثانية من الانتفاضة على الأطفال والشباب كما هو الحال في المرحلة الأولى، بل أخذ بعض الرجال والنساء يشاركون في الانتفاضة خلالها، وهنا حدث أول تحول في مسيرة الانتفاضة عندما بدأ بعض الرجال والنساء القيام بالمهمات التي توكل إليهم، وأصبح بعضهم يخرجون في المظاهرات. وتميزت المرحلة الثالثة بأنها مرحلة المشاركة العامة لجميع فئات المواطنين من أطفال وشباب وشيوخ سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً. وهذا لا يعني عدم مشاركة النساء في مقاومة الاحتلال قبل الانتفاضة الأخيرة، فقد ذكرت صحيفة الشعب في عددها الصادر بتارخ ١٩٨٧/٣/٦ أن جنود الاحتلال تصدوا لمصاهرة نسائية في خان يونس احتجاجاً على استفزازاتهم وممارساتهم غير الإنسانية وأطلقوا النار على المتظاهرات(١٧).

وتتميز المراحل الثلاث للانتفاضة بسيادة روح الفريق الواحد. ويبرز فيها التعاون والتكافل الوطني والاجتماعي بين المواطنين إلى حد كبير.

وتوقف جادي ياتسيف عند خصائص الانتفاضة الشعبية فذكر أن السكان يظهرون مقداراً نادراً من الانضباط بفضل قيادتهم الفعّالة، وأن النشاط ينفذ بصورة محكمة ومتطورة جداً، وان ثمة دمج مدروس بين مظاهر العصيان وتجنيد متقن لمختلف فئات السكان، وأن الفتيان هم الذين يفرضون السلطة والرعب(١٨).

وقد اعتمدت سلطات الاحتلال على توظيف وسائل قمعية مختلفة من الاعتقالات والابعادات إلى الجرح والقتل وتكسير العظام وحتى دفن الأحياء، وقادها تخبطها لفرض أحكام العقاب الجماعي على الفلسطينيين مثل منع التجول وهدم المنازل والمنع من السفر والحد من إدخال الأموال وقطع المواد التموينية عن مناطق سكانية بأكملها. وأدى بها العجز بعد ذلك إلى اللجوء إلى استخدام أساليب يائسة في محاربتها تنامي السلطة الفلسطينية على حساب سلطتها مثل

---

١٧ ـ صحيفة الشعب بتاريخ ٦/ ٣/ ١٩٨٧.

١٨ ـ صحيفة عال همشار بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٨٨.

تزوير البيانات الصادرة عن القيادة الوطنية الموحدة وإطلاق الشائعات في محاولة للتشكيك وخلق البلبلة في الأوساط الفلسطينية[١٩].

ويعد معسكر اللاجئين في خان يونس من بين أكثر معسكرات اللاجئين التي فرض عليها حظر التجول في قطاع غزة. وفي هذا المعسكر ترتفع ارتفاعاً كبيراً نسبة المساجين والمعتقلين الذين زجتهم سلطات الاحتلال في السجون والمعتقلات نسبة إلى سكان مدينة خان يونس، ويمكن أن نعزو ذلك إلى ارتفاع نسبة طلبة الجامعات وكذلك الأفراد المنظمين في حركات المقاومة الوطنية، ونظراً لأهمية خان يونس ودورها الكبير في الانتفاضة فإن إسرائيل خصصت للمدينة أربع فرق عسكرية إضافية لمواجهة الانتفاضة، أما الفرقة الأولى فإنها اتخذت من الاستاد الرياضي مقراً لها (نادي شباب خان يونس)، وعسكرت الفرقة الثانية في أرض الآغا شرقي المدينة، بينما تمركزت الفرقة الثالثة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، إذ اتخذت لها مراكز على طريق خان يونس ـ رفح، واستقرت الفرقة الرابعة في منطقة المستعمرات اليهودية المحيطة بخان يونس من الجهتين الغربية والشمالية الغربية.

---

١٩ ـ علي الجرباوي، الصراع بين جمهورية فلسطين الأولى وجمهورية اسرائيل الثانية. مجلة شؤون عربية (٥٥)، (١٩٨٨)، ص ٢٩ ـ ٥٤.

الفصل الثالث

النمو السكاني والعمراني

النمو السكاني:

بلغ عدد سكان خان يونس وفقاً لأول تعداد رسمي أجري لسكان فلسطين عام ١٩٢٢ في فترة الانتداب البريطاني حوالي ٣٨٩٠ نسمة. ثم ازداد عددهم إلى ٧٢٤٨ نسمة، وفقاً لتعداد عام ١٩٣١[1]، وكانت نسبة زيادة عددهم حوالي ٧٦٪ ما بين التعدادين، أو معدل نمو سنوي بلغ حوالي ٧٪. ويمكن أن نعزو ذلك المعدل المرتفع لنمو السكان إلى استيطان بعض البدو في المدينة، إضافة إلى هجرة بعض سكان القرى المجاورة للاستقرار في خان يونس، وإلى الزيادة الطبيعية لسكانها الأصليين.

وقدّر عدد سكان خان يونس عام ١٩٤٦ في أواخر فترة الانتداب بحوالي ١٢,٣٥٠ نسمة يقيمون بيوتهم فوق رقعة المدينة البالغة مساحتها آنذاك حوالي ٢,٥ كم٢، لذا فإن كثافة السكان بلغت في عام ١٩٤٦ حوالي ٤٩٤٠ نسمة لكل كم٢، وبلغت الكثافة السكانية أقصى ارتفاع لها في منطقة وسط المدينة حول القلعة.

---

١ - أ - حكومة فلسطين، الاحصاءات الحيوية لسكان فلسطين (١٩٢٢ - ١٩٤٥).
ب - تعداد فلسطين عام ١٩٣١، المجلد (٢)، الاسكندرية (١٩٣٣).

وبعد نكبة عام ١٩٤٨ التي نجم عنها تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين للاستقرار في المدينة، ارتفع عدد سكان المدينة إلى ٦١,٥٩١ نسمة في عام ١٩٥٣، منهم ١٤,٧١٠ مواطنين أصليين، وحوالي ٤٦,٨٨١ لاجئاً[٢]، أي أن أهالي خان يونس الأصليين كانوا يشكلون حوالي ربع سكان المدينة، وكانت نسبتهم إلى اللاجئين فيها كنسبة ١ : ٣. لقد ازداد عدد سكان خان يونس ما بين عامي ١٩٤٦ و١٩٥٣ بنسبة ٤٠٨٪ أو بمعدل نمو سنوي بلغ حوالي ٢٠٪، أي أن حجم المدينة ازداد حوالي خمس مرات عما كان عليه عام ١٩٤٦. ولا شك أن هذه الزيادة السكانية تشكل تفجراً سكانياً شهدته المدينة إثر حرب عام ١٩٤٨، ولم يسبق لها مثيل من قبل.

واذا استبعدنا السكان اللاجئين الذين أضافوا لمواطني المدينة الأصليين أقل من ٥٠ ألف نسمة فجأة بسبب الحرب العربية الإسرائيلية، نجد أن عدد سكان المدينة الأصليين ازداد من حوالي ٥ آلاف نسمة عام ١٩٤٦ إلى حوالي ١٥ ألف نسمة عام ١٩٥٣، أو بزيادة نسبتها ٢٠٠٪ خلال تلك الفترة (معدل نمو سنوي ١٠٪). امتدت رقعة المدينة لتصل مساحتها في عام ١٩٥٣ حوالي ٤ كم٢، لذا ارتفعت كثافة السكان إلى ١٥,٤٠٠ نسمة/كم٢. غير أن كثافة السكان بلغت الأوج في معسكر خان يونس للاجئين، إذ وصلت آنذاك إلى ٣٩ ألف نسمة/كم٢.

ازداد عدد سكان مدينة خان يونس من حوالي ٦١,٥٩١ نسمة عام ١٩٥٣ إلى حوالي ٦٨,٠٤٤ نسمة عام ١٩٦٣[٣]، أي أنهم ازدادوا حوالي ٦,٤٥٣ نسمة، أو ما نسبته ١٠٪ في فترة عقد (معدل نموسنوي ١٪). وقد ارتفع عدد المواطنين الأصليين من حوالي ١٤,٧١٠ إلى حوالي ١٩,٦٦٩، بنسبة زيادة مقدارها حوالي ٣٤٪ خلال الفترة نفسها (معدل نموسنوي ٢٪)، إضافة إلى

---

٢ - حسين أبو النمل، قطاع غزة (١٩٤٨ - ١٩٦٧). مركز الابحاث الفلسطيني، بيروت (١٩٧٩)، ص ٣٦ - ٣٨.

٣ - مصطفى الدباغ، مرجع سابق، ج١. ق٢، ص ١٣٨ - ١٣٩.

ذلك ارتفع عدد اللاجئين من حوالي ٤٦,٨٨١ إلى حوالي ٤٨,٣٧٥، بنسبة زيادة مقدارها حوالي ٣٪ خلال الفترة نفسها (معدل نمو سنوي ٥, ٠٪).

وتشير الأرقام إلى أن المدينة شهدت خلال الفترة (١٩٥٣ - ١٩٦٣) هجرة سكانية ملحوظة منها، وأسهمت هذه الهجرة في تخفيض معدل النمو السكاني بنسب أقل من نسب معدل الزيادة الطبيعية للسكان. أي أن الزيادة الفعلية لسكان المدينة كانت محدودة جداً وأقل من الزيادة الطبيعية لهم بسبب ارتفاع المعدلات السالبة لصافي الهجرة خلال الخمسينات وأوائل الستينات. وقد بدت هذه الظاهرة واضحة جلية عند اللاجئين أكثر منها عند المواطنين الأصليين من سكان المدينة.

لقد اتجهت الهجرة من خان يونس داخل القطاع وبخاصة نحو غزة ورفح، كما اتجهت خارجه نحو الدول العربية النفطية، حيث توافرت فرص العمل للباحثين عنه من المهاجرين. وتجدر الإشارة إلى أن خان يونس كغيرها من المراكز العمرانية في قطاع غزة فقدت جزءاً من أراضيها الزراعية التابعة لها إثر نكبة ١٩٤٨، إذ استولى الاحتلال الإسرائيلي على حوالي ٥٦ ألف دونم، أو مانسبته ١٥٪ من أراضي قطاع غزة[٤]، إضافة إلى ذلك وصلت كثافة السكان في المدينة حوالي ١٥,٤٠٠ نسمة/كم٢ في عام ١٩٥٣، وحوالي ١٦ ألف نسمة/كم٢ في عام ١٩٦٣. وقد أدى انكماش مساحة الأراضي الزراعية مصحوباً بارتفاع كثافة السكان إلى ارتفاع انكماش مساحة الأراضي الزراعية مصحوباً بارتفاع كثافة السكان إلى ارتفاع الضغط السكاني على الموارد الزراعية، وإلى ازدياد حجم البطالة، الأمر الذي حتم على السكان أن يختاروا الهجرة سبيلاً لحل مشكلاتهم. وشجعت الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت متردية في أوائل تلك الفترة (١٩٥٤ - ١٩٥٧) على تطلع الكثير من القوى البشرية القادرة على العمل للخروج من قطاع غزة بحثاً عن أوضاع أفضل في البلدان العربية النفطية. ففي تلك الفترة تعرضت خان يونس لغارة إسرائيلية عام ١٩٥٥، ولعدوان إسرائيلي أدى إلى احتلالها عام ١٩٥٦/١٩٥٧. وعندما تفاقمت البطالة بين صفوف خريجي المرحلة الثانوية عام

٤ - حسين أبو النمل، مرجع سابق، ص ٣٧.

١٩٦١، اتجه بعضهم للعمل في مصر، في حين اتجه الكثير ون للعمل في المملكة السعودية وليبيا والجزائر.

قدّر عدد سكان مدينة خان يونس في أواخر فترة الإدارة المصرية للقطاع (عام ١٩٦٦) بحوالي ٧٦,٢٠٤ نسمات. وبلغ معدل النمو السنوي لسكان خان يونس خلال الفترة (١٩٦٣ - ١٩٦٦) حوالي ٤٪، أي أنه ارتفع عما كان عليه في السنوات السابقة لتلك الفترة التي شهدت ازدهاراً نسبياً مؤقتاً، إذ أصبح قطاع غزة أكثر انفتاحاً على مصر والعالم الخارجي، وبخاصة في مجال التجارة الخارجية والسياحة، عما كان عليه سابقاً، وشهد تنفيذ بعض المشروعات العمرانية والزراعية التي انعكست على أوضاع السكان الاقتصادية والاجتماعية. غير أن هذه الفترة القصيرة من الازدهار النسبي سرعان ما انتهت بإنتهاء فترة الإدارة المصرية وخضوع قطاع غزة لفترة جديدة من الاحتلال الإسرائيلي منذ حرب حزيران/ يونيه ١٩٦٧ وحتى الوقت الحاضر. وانعكس هذا الوضع الجديد على سكان مدينة خان يونس الذين يتناقص عددهم فجأة ليصل إلى ٥٢,٩٩٧ نسمة وفقاً للتعداد الذي أجرته سلطات الاحتلال الإسرائيلي لسكان المناطق المحتلة عام ١٩٦٧. وكان من بين هذا العدد ١٦,٥٢٢ نسمة من المواطنين الأصليين، و٣٦,٤٧٥ نسمة من اللاجئين.

لقد أدت حرب عام ١٩٦٧ إلى نزوح عدد من سكان خان يونس الأصليين منهم واللاجئين إلى مصر والأردن، واتجه بعضهم للعمل في الأقطار العربية النفطية. ونتج عن ذلك هبوط مفاجيء في عدد سكان المدينة بلغ حوالي ٢٣,٢٠٧ نسمات، أوما نسبته حوالي ٣٠٪. وكان معظم النازحين من لاجئي عام ١٩٤٨ الذين استقروا منذ ذلك الحين في خان يونس، إذ انخفض عدد اللاجئين من سكان المدينة بنسبة ٢٥٪ بسبب النزوح عنها في عام ١٩٦٧، بينما انخفض عدد المواطنين الأصليين بنسبة ٥٪ فقط. وتجدر الإشارة إلى أن قطاع غزة فقد في نهاية عام ١٩٦٨ حوالي ٢٥٪ من سكانه بسبب النزوح إلى خارج القطاع[٥].

٥ ـ حسن صالح، الأوضاع الديموغرافية لعرب فلسطين. دراسة تحت الطبع في القسم الثاني من الموسوعة الفلسطينية

أخـذ عدد سكـان خان يونس يزداد ببـطء شديـد منـذ عام ١٩٦٩ ، بفعـل الـزيـادة الطبيعية السنوية التي بلغ معدلها حوالي ٣٥ في الألف خلال السبعينات. غير أن أرقـام صافي الهجـرة التي كانت سالبـة منـذ عام ١٩٦٧ وحتى منتصف الثمانينات هي السبب الرئيسي في بطء نمو السكان وإعاقة النتائج الإيجابية المترتبة على الـزيـادة الطبيعية المرتفعة نسبياً. وفي عام ١٩٧٩ بلغ عدد سكان مدينة خان يونس (٦٢,٤٠٠ نسمـة) وهـو أقـل مما كان في عام ١٩٦٦ ، غير أن الـزيـادة الطبيعيـة تمكنت بمـرور الـوقت من التغلب على النتـائـج السـالبة لصافي الهجرة السكـانيـة ، بالتالي تحقيق نموسكاني أسهم في زيادة عدد سكان المدينة إلى حوالي ٧٦,٩٠٠ نسـمـة في عام ١٩٨٤[٦]، أي أن عدد سكـان خان يونس أصبح في عام ١٩٨٤ مساوياً لعددهم في عام ١٩٦٦ تقريباً، وهذا يعني أن الزيادة الطبيعيـة لسكـان المـدينة استغرقت ١٨ عاماً لتتمكن من تعويض أعداد النازحين عنها، علماً بأنها استغرقت ١٥ عاماً بالنسبة لقطاع غزة ككل.

قدّر عدد سكـان خان يونس بحـوالي ٦٩,٩٥١ نسمـة في عام ١٩٨١[٧]، منهـم ٢٨,٧٩٧ مواطنـاً أصليـاً، و٤١,١٦٤ لاجئـاً. وارتفـع عددهم إلى ٧٦,٩٠٠ نسمة في عام ١٩٨٤ (بمعدل نموسنوي ٤٪)، منهم حوالي ٣١,٧٠٠ مواطنـاً أصليـاً، وحـوالي ٤٥,٢٠٠ لاجيء. ومما يسـترعي الانتبـاه انخفـاض معـدلات كل من المـواليـد والـوفيات انخفاضاً طفيفاً في أوائل الثمانينات عما كانت عليـه في السبعينات. وعلى الرغم من ذلك فإن ارتفاع معدلات الخصوبة يظل هو السمة التي تتميز بها الأسرة في خان يونس. غير أن الخصوبة بدأت تتناقص خلال الفترة (١٩٨٢ ـ ١٩٨٤)، إذ تناقصت نسبة الأطفال لكل امرأة بنسبة ٤٪، وعلى الـرغم من التنـاقص في الخصـوبـة، إلا أن العـدد السنـوي المطلق للمواليد ازداد بشكـل ملمـوس، ويبقى دور الـزيادة الطبيعية كبيراً في عملية النمو السكاني على

---

٦ ـ ملفات مكتب الاحصاء المركزي، غزة ١٩٨٤.

٧ ـ عبد الله الحوراني، قطاع غزة ـ ١٩ عام من الاحتلال. دار الكرمل للنشر، عمان ١٩٨٧، ص ١٣.

الـرغم من وجـود المخططـات الصهيونية التي تعمل على تخفيض معدلات الزيادة الطبيعية بكل السبل.

من المتـوقـع في نهايـة عام ١٩٨٨ أن يصـل عدد سكـان خان يونس، على افتراض أن معدل نموهم السنوي يبلغ ٤٪، إلى حوالي ٨٩,٢٥١ نسمة، منهم ٣٦,٨٣٠ مواطنـاً أصليـاً، و٥٢,٤٢١ لاجئـاً. وسترتفع كثافة السكان العامة في المدينة ومعسكر اللاجئين معاً لتصل إلى حوالي ١٧,١٥٧ نسمة/كم٢، وتقل هذه الكثافة في المدينة عنها في معسكر اللاجئين، حيث يعيش حوالي ٥٣,٥٩٧ نسمة من المـواطنـين الأصليين واللاجئين داخل المدينة التي تقدر رقعتها بحوالي ٤ كم٢، بينما يعيش حوالي ٣٥,٦٥٤ نسمة من اللاجئين وبعض المواطنين الأصليين داخل معسكر اللاجئين الذي تقدر رقعته بحوالي ١,٢ كم٢. (شكل ٨).

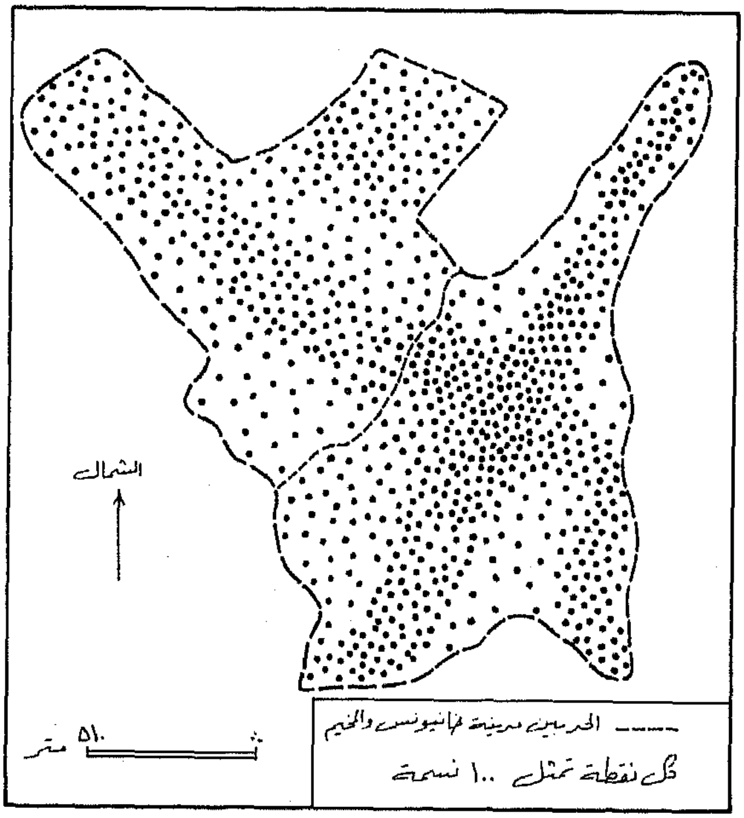

شكل - ٨ - توزع السكان في خان يونس عام ١٩٨٨

النمو العمراني:

ظلت خان يونس منذ نشأتها الأولى وحتى قبل حوالي نصف قرن عبارة عن بلدة متواضعة محدودة المساحة والسكان. وتمثل القلعة نواة خان يونس الأصلية، اذ تجمع المواطنون الذين استقروا حول القلعة في ضيعة (محلة) صغيرة لا تتجاوز مساحتها ثلث كم² في أواخر عصر المماليك. وقد اعتمد هؤلاء المواطنون في معيشتهم على التجارة والزراعة أساساً، إذ كانوا ينتجون من المواد الغذائية ما يكفي حاجاتهم الاستهلاكية المحلية وحاجات تجار القوافل والحجاج الذين كانوا يتوقفون في خان يونس، ويأوون داخل القلعة طلباً للراحة والتزود بالمواد التموينية.

وفي أوائل العصر العثماني تم تحصين القلعة من قبل السلطات العثمانية، وزودت بمائة فارس قدموا إليها من مصر للإشراف على طريق التجارة والحج بين غزة والقنطرة، ولتوفير الأمن والسلامة العامة في إقليم خان يونس. نتيجة لذلك استتب الأمن حول خان يونس فغدت قلعتها ملاذاً للمسافرين ومركزاً للتجار، واجتمعت حولها الخلائق الذين يسترزقون من خدمة القوافل، فتحولت المحلّة إلى قرية تقدر مساحتها بحوالي نصف كم²، اشتملت القرية على القلعة والجامع في وسطها، وتحيط بهما المساكن والحوانيت التجارية. وكان سوقها المجاور للقلعة نقطة يلتقي فيها البدو القادمون من الصحراء لبيع منتجاتهم الحيوانية مع المزارعين القادمين من إقليم خان يونس لبيع منتجاتهم الزراعية وشراء حاجياتهم من السوق التي كانت تعرض فيها أيضاً بعض السلع التجارية بواسطة التجار المحليين أو المارين في خان يونس.

كانت خان يونس في العصر العثماني أحد مراكز النواحي الأربع التي اشتمل عليها قضاء غزة وهي نواحي غزة وخان يونس والمجدل والفالوجا. وكانت القلعة فيها أشبه بمجمع حكومي كامل يشتمل على الجهاز الإداري المسؤول عن ناحية خان يونس إضافة إلى الحامية من الفرسان المقيمين في القلعة، واحتوت القلعة على مسجد تطل مئذنته من فوق أسوار القلعة ذات الأبراج الأربعة، كما احتوت

أيضاً على بئر مياه واستراحة للمسافرين وأسطبل للخيول. وبعد مرور ثلاثمائة عام من بناء القلعة استطابت إحدى الحاميات الإقامة فيها مع أسرها، لذا فإن الوظيفتين الإدارية والأمنية أضيفتا للوظيفتين التجارية والزراعيه، وانعكس هذا التنوع الوظيفي على جذب السكان للإقامة في خان يونس وتعميرها، إضافة إلى انعكاسه على توفير الخدمات اللازمة للمدينة والقرى التابعة لها آنذاك، وهي دير البلح وبني سهيلة وعبسان.

وفي عام ١٩١٨ تألف أول مجلس بلدي في خان يونس، وبقيت البلدة طوال فترة الانتداب البريطاني تابعة لقضاء غزة. وقد قام الانكليز بمد خط سكة حديد القنطرة ـ حيفا، في أواخر فترة الحرب العالمية الأولى، مخترقاً قضاء غزة، ومارا في الطرف الشرقي لخان يونس. وكان لهذا الخط الحديدي دور مهم في ربط خان يونس بكل من فلسطين ومصر، وإذا أضفنا الدور المهم الذي أسهمت فيه الطريق المعبدة التي تربط رفح وخان يونس بكافة أرجاء فلسطين وبمصر أيضاً، اتضح لنا مدى النتائج الإيجابية المترتبة على وجود هذين الشريانين الحيويين، وبخاصة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.

شهدت خان يونس تطوراً ملحوظاً في نموها العمراني خلال فترة الانتداب البريطاني، وكانت بلدية خان يونس تشرف على شؤون البلدة في مجالات متنوعة، إذ قامت بتنظيم البلدة وفتح الشوارع فيها وتعبيدها، وإعطاء رخص للمباني الجديدة، ومد شبكات المياه والكهرباء، وفتح المدارس والعيادات، والإشراف على الأسواق والصحة العامة. وقد بلغ مجموع رخص البناء المعطاة عام ١٩٤٤ من قبل البلدية ٩١ رخصة قيمة أبنيتها ٢٠٤ , ٢٠ جنيه فلسطيني (ج. ف)، وأنفقت البلدية على خان يونس في ذلك العام مبلغ ٤٩٠ , ٤ (ج. ف)، في حين بلغت وارداتها المالية في العام نفسه ٧٣٩ , ٧ (ج. ف)[٨].

---

٨ ـ مصطفى الدباغ، مرجع سابق، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

وخـــلال فترة الانتـداب حافظت خان يونس على مكـانتهـا كبلدة تجاريـة زراعية، وازدهرت الأوضاع الاقتصادية فيها، وانعكس ذلك على العمران الذي نشطت حركتـه متمثـلاً في ازديـاد الطلب على الأرض والمبـاني السكنية والمحلات التجارية، وتحولت القلعة إلى مبان سكنية بعد أن هدم جزء كبير منها، ولم يبق منها حتى اليـوم سوى بعض أبـراجهـا وجـدرانها. وتم فتح المحلات التجارية الجديدة على طول شارع القلعة، كما أنشئت بعض المدارس ومكتبة عامة وعيادة صحية. وقد امتدت المباني السكنية حول وسط المدينة التجارية مباشرة مع توسعها في محور شمالي جنوبي، وقدر عدد سكان البلدة في أواخر فترة الانتداب بحوالي ١٢,٣٥٠ نسمـة يقيمـون في (٢٠٠٠) بيت تقـريباً، كما قدرت مساحتها بحوالي ٢,٥ كم٢، علماً بأن عددهم بلغ في عام ١٩٣١ حوالي ٧,٢٤٨ نسمة يقيمون في ١٢٨٣ بيتاً، كما بلغ عددهم في عام ١٩٢٢ حوالي ٤٠٠٠ نسمـة. وكـان متـوسط اشغال البيت الواحد حوالي ٦ أفراد.

تميـزت بيـوت خان يونس خلال فترة الانتـداب بأنهـا ذات نمـط عربي إسـلامي تقليـدي، أي أن البيت يشتمل على حجرتين أو أكثر، وله ساحة أو فناء مفتـوح، ويحيـط سور مرتفـع بهذا الفناء الذي هو جزء من البيت. ومعظم البيوت كانت مبنية من طوب اللبن، وبعضها من طوب الإسمنت، وهي من طابق واحد في العادة، ويسقف إما بالطين المتراكم فوق الخشب، أو بالإسمنت. ويمثل الفناء (الحـوش) مكـانـاً لتجمع الأسرة ولعب الأطفال، إلى جانب كونه المكان الرئيسي للنـوم في ليـالي الصيف. وقـد بنيت البيـوت متلاصقة بعضها ببعض لتوفير الحماية والأمن والطمأنينة والظل من أشعة الشمس.

لقد فرضت التقاليد الاجتماعية أن يقع مدخل البيت العربي في خان يونس كغيرهـا من المدن العربية عند إحدى زواياه قريباً من أحد البيتين المجاورين، كما ويتصف المدخل بأنه منكسر، وذلك لكي يمنـع العابر الغريب من التطفل على ما يجري داخـل الفنـاء مثلما يمنـع من يعيش داخـل البيت أن يرى العـابرين، موفراً بذلك درجة من الخصوصية والتي تعتز بها العائلة العربية. وتحتل المرافق الصحية

(المراحيض والحمامات) موقعاً مقارباً للمطبخ مشكّلة جميعاً ركناً مهما في البيت العربي[٩].

وبعد عام ١٩٤٨ تدفقت أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين للإقامة في خان يونس، سواء في بيوت المدينة نفسها أو في معسكر أعدته وكالة غوث اللاجئين لهم في الطرف الشمالي الغربي من المدينة. وكان لا بد من مواجهة هذا الوضع الجديد بالتوسع في تشييد المساكن العصرية الجديدة وتوفير المرافق العامة من مدارس ومستشفيات وعيادات صحية ومياه وكهرباء ومواصلات وغيرها.

ويشتمل معسكر اللاجئين، الذي أقيم فوق الكثبان الرملية في الجهتين الغربية والشمالية الغربية من خان يونس، على وحدات سكنية متراصة مبنية من طوب الإسمنت ومسقوفة بالقرميد والأسبست. لذا فإن من الطبيعي أن يزدحم هذا المعسكر بالسكان وأن ترتفع الكثافة السكانية فيه. وقد قامت وكالة غوث اللاجئين بإنشاء المعسكر والإشراف على تقديم الخدمات اللازمة لسكانه من مواد تموينية وعيادات صحية ونوادي ومدارس.. الخ. وأشارت أرقام المجموعة الإحصائية الإسرائيلية لعام ١٩٨٤ إلى أن ٨٥٪ من الوحدات السكنية في مخيمات اللاجئين بقطاع غزة، بما فيها معسكر خان يونس للاجئين، تشتمل على مطبخ خاص بالأسرة المعيشية، وأن ٤٩٪ من المساكن لا يوجد فيها حمّام، وأن ١٪ من المساكن لا يوجد فيها مرحاض، وأن ٤٠٪ من المساكن توجد بداخلها مياه جارية، وأن ٨٤٪ من المساكن يصلها التيار الكهربائي[١٠].

وفي عام ١٩٥٣ تضاعفت مساحة المدينة (٤ كم٢) بسبب هذا التوسع العمراني الذي اتخذ شكل المحاور على طول شارع القلعة (شارع جمال عبد الناصر)، وشارع البحر، والطرق المؤدية إلى كل من بني سهيلة (مدخل المدينة)

---

٩ ـ خالص الأشعب، المدينة العربية. معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٢، ص ٢٥ ـ ٣٧.

١٠ ـ حسن صالح، الأوضاع الديموغرافية، مرجع سابق.

ورفح والقرارة وديرالبلح. وظل معسكر اللاجئين منفصلاً عن المدينة طوال الخمسينات، إذ كانت توجد رقعة من الأراضي الرملية الفضاء التي تفصل بينهما، غير أن البلدية قامت بمد شارع البحر فيها إلى الغرب ليصل المدينة بمعسكر اللاجئين وكذلك بالأراضي الزراعية المطلة على شاطيء البحر المتوسط، وكانت هذه الخطوة مهمة جداً، وانعكست على الامتداد العمراني للمدينة نحو الغرب خلال الستينات.

لقد شهد النصف الأول من الستينات نهضة عامة شملت مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والصحية والعمرانية والتعليمية، وكانت هذه النهضة جزءاً من نهضة شاملة عمت مختلف أرجاء قطاع غزة، ففي المرحلة الثانية لفترة الإدارة في القطاع، وهي المرحلة التي أعقبت عدوان عام ١٩٥٦ ودخول قوات الطوارىء الدولية التابعة للأمم المتحدة لمعاونة الإدارة المصرية في المحافظة على أمن القطاع من أي عدوان إسرائيلي، سادت فترة هدوء واستقرار نسبيين، وانعكس ذلك على أوضاع القطاع العامة ومدينة خان يونس بخاصة.

وعلى الرغم من تبعية خان يونس إدارياً لمدينةغزة طوال فترة الإدارة المصرية لقطاع غزة (١٩٤٨ - ١٩٦٧)، إلا أنه تم تعيين حاكم إداري لمنطقة خان يونس بحيث أن المدينة كانت مسؤولة إدارياً عن المنطقة التابعة لها، الأمر الذي زاد من ارتباط المدينة بإقليمها، ودعم العلاقات بين خان يونس والقرى التابعة لها. وقد تم فتح بعض الدوائر الحكومية في خان يونس لتقديم خدماتها لمواطني المدينة وإقليمها دون الرجوع إلى مدينة غزة، . وحيث أن خان يونس كانت ولا تزال ثاني مدينة في القطاع بعد مدينة غزة، فإن كثيراً من المواطنين القاطنين في المنطقة الجنوبية (خان يونس - رفح) اعتمدوا على خان يونس في إنجاز معاملاتهم الحكومية، وانعكس ذلك في النهاية على نشاط المدينة وعمرانها.

وقد اتخذت الإدارة المصرية سلسلة إجراءات أدت إلى تنشيط الحركة السياحية في قطاع غزة، بما فيها مدينة خان يونس، وأخذت الأفواج المتعاقبة من السواح المصريين تفد إلى مدن القطاع للاطلاع على المعالم الحضارية. ولا شك

أن ازدياد الحركة السياحية والتجارة في مدينة خان يونس شجعت بعض أصحاب رؤوس الأموال من أبناء خان يونس لاستثمار أموالهم في قطاع التجارة، فأنشئت المحلات التجارية والمعارض التي شملت جميع أصناف المنتجات الصناعية المستوردة من الخارج.

إضافة إلى ذلك فإن النهضة التعليمية التي شهدتها خان يونس خلال الخمسينات والستينات أسهمت في تخريج أفواج كبيرة من حملة الشهادات الأكاديمية الثانوية والجامعية وحملة الشهادات المهنية الذين توجهوا للعمل في الدول العربية النفطية. ويرجع الفضل لهؤلاء المغتربين من أبناء خان يونس في تحويل الأموال لذويهم الذين استثمروا جزءاً منها في مشروعات تجارية وعمرانية داخل المدينه.

لقد ازدادت الإيرادات المالية لبلدية خان يونس من جراء الضرائب التي تفرضها على المواطنين المنتفعين من خدماتها، وانعكس ذلك على زيادة قدرتها على إنشاء المرافق العامة، ومد الشوارع وتعبيدها، وبالتالي إقامة بنية تحتية شجعت على المزيد من العمران، فامتدت المدينة في مختلف الجهات وبخاصة في الجهة الشمالية الغربية، حيث أخذت المباني تشغل المساحات الفضاء القريبة من معسكر اللاجئين. وأنشئت المحلات التجارية على طول شارع البحر، لتصل بين المحلات التجارية في كل من المدينة والمعسكر، كما أقيمت المباني السكنية العصرية الجديدة، وأخذت المباني الاسمنتية تحل محل بيوت اللبن القديمة في معظم أرجاء المدينة. ويرجع الفضل للإدارة المصرية في تشييد مستشفى ناصر في الجهة الغربية من المدينة، كما أنشئت مدينة رياضية تقع بين المدينة ومعسكر اللاجئين. إضافة إلى ذلك انتشرت المدارس الحكومية ومدارس وكالة الغوث لتلبي حاجات الطلبة المتزايدة على التعليم، كما انتشرت المساجد في مختلف جهات المدينة. وترتب على الحركة العمرانية السريعة والواسعة ازدياد مساحة المدينة الى ٤,٣ كم^{2} تقريباً في عام ١٩٦٣، وإلى ٤,٥ كم^{2} تقريباً في عام ١٩٦٧.

وعلى الرغم من الركود العام الذي تعرضت له خان يونس عقب الاحتلال

الإسرائيلي لها في حزيران / يونيه ١٩٦٧ ، إلا أن حركة العمران لم تنقطع من المدينة ، ذلك لأن الزيادة السكانية ، والحوالات المالية للمغترين من أبناء خان يونس ، وتصميم المواطنين العرب على الصمود في مدينتهم وإعمارها بكل السبل ، والدخل الذي يحصل عليه العمال العرب من أبناء خان يونس العاملين في إسرائيل ، كل هذه العوامل أسهمت في عدم توقف الحركة العمرانية . وواصلت بلدية خان يونس تحمل مسؤولياتها نحو تقدم الخدمات العامة لأهالي المدينة ، مثلما استمرت وكالة الغوث في تقديم خدماتها للاجئين على الرغم من الظروف الصعبة للعيض تحت ظل الاحتلال الإسرائيلي .

وبعد عام ١٩٦٧ أقيم حي الكتيبة الجديد فوق الكثبان الرملية ، كما أقيم حي جديد ثان أيضاً أطلق عليه اسم حي الأمل ، وذلك إلى الشمال من مدينة خان يونس . ويشتمل الحي على مبان عصرية حديثة ترتبط بشبكة شوارع أقيمت وفق مخطط تنظيمي مناسب ، ويعيش فيه أكثر من ألف أسرة قدم معظمها من معسكر اللاجئين . كما أقيمت العديد من المدارس والمساجد والمحلات التجارية والمباني السكنية في مختلف أرجاء المدينة ، إضافة إلى إنشاء سوق لبيع الحيوانات منفصل عن سوق الأربعاء ، وإقامة مقبرة جديدة واسعة إلى الجنوب الغربي من المعسكر . ومن الطبيعي أن تزداد مساحة رقعة المدينة نتيجة للحركة العمرانية التي أدت إلى امتداد المدينة نحو الشمال والجنوب . ففي عام ١٩٨١ قدرت مساحة المدينة بحوالي ٤,٨ كم٢ ، وازدادت مساحتها إلى ٥ كم٢ في عام ١٩٨٤ وإلى ٥,٢ كم٢ في عام ١٩٨٨ . (شكل ٩) .

وينبغي الإشارة إلى أن الاحتلال الإسرائيلي استولى على جميع أراضي الدولة المحيطة بمدينة خان يونس من الجهات الشمالية الغربية والغربية والجنوبية الغربية . وقد أقام فوق هذه الأراضي الرملية ست مستعمرات يهودية ، ويخطط لإقامة مزيد من المستعمرات في الجهة الجنوبية الغربية ، إذ أنه قام مؤخراً بمد طريق إلى الغرب من معسكر اللاجئين وإلى الجنوب الغربي من المدينة ، وتم وضع أسلاك شائكة على طول الطريق لمنع الامتداد العمراني للمدينة والمعسكر

نحو هذه الجهات المحجوزة لأغراض الاستعمار الاستيطاني اليهودي في المستقبل القريب.

ومن جهة ثانية، فإن سلطات الاحتلال الإسرائيلي لم تكتف بإقامة طوق من المستعمرات حول خان يونس ومعسكر اللاجئين فحسب، بل أنها منعت المواطنين العرب المالكين للأراضي الزراعية المحاذية لشاطيء البحر (المواصي) من التعمير فيها سواء أكان ذلك بإقامة المباني السكنية أو استصلاحها أو تغيير معالمها. ومن المتوقع أن يواجه الامتداد العمراني للمدينة مشكلات صعبة ومعقدة في المستقبل طالما ظل الاحتلال متمسكاً بسيطرته على الأراضي المحيطة بخان يونس من الجهة الغربية. وإذا كان لابد من امتداد المدينة أفقياً فإنه ليس أمامها من سبيل سوى الامتداد نحو الشمال والجنوب بشكل محدود، وهذا يفسر لنا توجه المدينة نحو الامتداد العمودي عندما سمحت السلطات المحلية المسؤولة مؤخراً لأصحاب المباني بالارتفاع بها إلى أربعة طوابق.

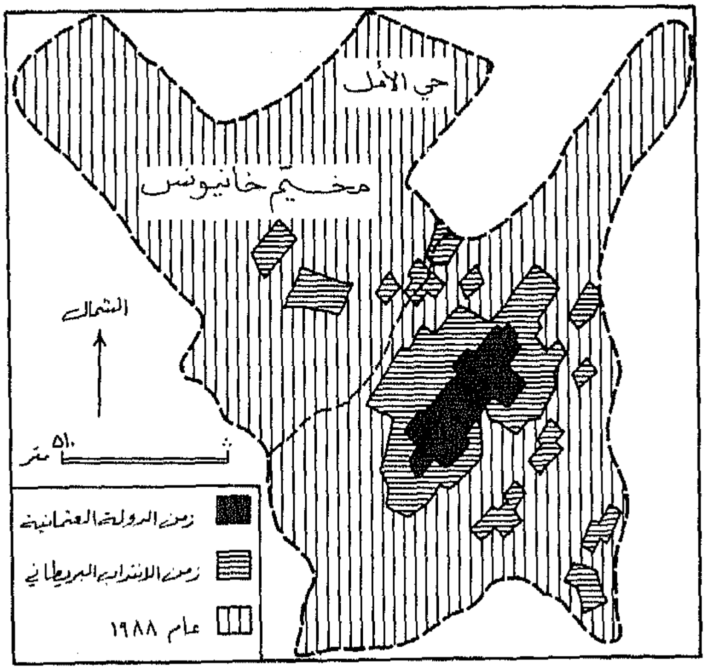

شكل ـ ٩ ـ مراحل النموّ العمراني لخان يونس

خطة الاحتلال لتغيير معالم خان يونس :

تقوم السياسة الإسرائيلية على أساس تفريغ المناطق العربية المحتلة، بما فيها مدينة خان يونس ومعسكر اللاجئين، من أهاليها العرب. لذا فإنها تلجأ إلى اتباع وسائل متعددة ومتنوعة لضمان نجاح سياستها، فهي تمارس الإرهاب بشكل علني في المناطق العربية المحتلة دون الاكتراث بالقوانين الدولية وحقوق الإنسان. وترمي من وراء ذلك إلى تهويد كل شبر تستطيع تهويده في فلسطين. وفيما يتعلق بمدينة خان يونس فرضت نطاقاً من المستعمرات اليهودية حول المدينة، وأصبح المستعمرون فيها يشاركون أهالي خان يونس موارد مدينتهم الزراعية والمائية والبحرية، وسنت السلطات الإسرائيلية القوانين المجحفة بحق أهالي المدينة لحرمانهم من حقوق المواطنة وللضغط عليهم اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً وسياسياً وعسكرياً لحملهم على الرحيل عن مدينتهم.

وكجزء من سياسة تفريغ معسكرات اللاجئين وإزالتها، قامت السلطات الإسرائيلية بهدم المئات من البيوت في معسكرات اللاجئين عامة ومعسكر خان يونس خاصة. وتنفيذاً لأهدافها في إخضاع اللاجئين وإذابتهم في مشروعات التوطين قامت هذه السلطات بإنشاء مشروع حي الأمل السكني الذي ضم ١٠٢٦ بيتاً، واستعملت ضغوطاً لحمل سكان معسكر خان يونس على التخلي عن بيوتهم في المعسكر والانتقال إلى هذا المشروع السكني. أقيم هذا المشروع في عام ١٩٧٧، وقد استلم عدد كبير من اللاجئين من معسكر خان يونس معظم هذه الوحدات السكنية (البيوت) جاهزة مقابل التخلي عن بيوتهم وهدمها في المعسكر. وفيما بعد أصبحت كل عائلة تتسلم أرضاً فارغة مساحتها إما ٢٠٠ م٢ أو ٢٥٠ م٢. أما في الوقت الحاضر فإنه لا يسمح إلا بتسليم قطعة أرض مساحتها ١٢٥ م٢ لكل عائلة تترك بيتها في المعسكر[١١]. وتبلغ مساحة أرض المشروع ٥٠٠ دونم وعدد

---

١١ - أ - عبد الله الحوراني، مرجع سابق، ص ١٤٦.

ب - شريف كنا عنه ورشاد المدني، الاستيطان ومصادرة الأراضي في قطاع غزة ١٩٦٧ - ١٩٨٤. مجلة صامد الاقتصادي، المجلد ٩، العدد ٦٥، ١٩٨٧، ص ٨٧ - ١١١.

سكانه ٨٢٥٠ نسمة، أي أن كثافة السكان فيه تبلغ ١٦٥ نسمة لكل دونم (١٦٦٥,٠٠ نسمة/ كم٢).

وقد كشف مردخاي بن بورات الوزير الاسرائيلي السابق عن تفاصيل الخطة الإسرائيلية لتوطين اللاجئين في الأراضي العربية المحتلة بتاريخ ١٩٨٣/١٢/١ عندما كان يتحدث أمام مؤتمر دولي في لندن، وكان مما ذكره بن بورات، إقامة مناطق سكنية جدية لاستيعاب اللاجئين خلال مهدة خمس سنوات وإدماج هذه المناطق بمجالس البلديات المجاورة لها وتخصيص صناديق مالية لتشجيع اللاجئين لبناء مساكنهم الخاصة إذا ما رغبوا في ذلك. وفي خان يونس تسلمت البلدية في ١٩٨٤/١/٨ كتاباً من نائب رئيس فرع تأهيل اللاجئين في قطاع غزة «الداد سجيق» جاء فيه أن السلطات ستمضي قدماً في تنفيذ مشروع التوطين في منطقة «بلوك و» وذلك بالتعاون مع سكانها[١٢].

تبلغ مساحة أراضي خان يونس حوالي ٥٦ ألف دونم، منها ١٦,٥٠٠ دونم منطقة نفوذ بلدية خان يونس، و١٣,٥٠٠ دونم أراض ذات ملكية خاصة وخارج نفوذ البلدية، و٢٦ ألف دونم أراض حكومية. وقد وضعت سلطات الاحتلال يدها على كل الأراضي الحكومية التابعة لمدينة خان يونس باعتبارها أراض تابعة للدولة. ولم تكتف سلطات الاحتلال بالسيطرة على الأراضي الحكومية، بل أنها قامت بمصادرة ٤١٥ دونماً من أراضي خان يونس الزراعية الواقعة في منطقة الشيخ حمودة بالقرب من خط الهدنة. ولا شك أن الاستيلاء على الأراضي العربية من شأنه أن يشجع إسرائيل على إقامة المستعمرات اليهودية التي تؤثر في تغيير المعالم الجغرافية لمدينة خان يونس وما حولها من أراض، فالمدينة الجريحة تصبح عاجزة عن التوسع الأفقي بحرية فوق أراضيها، وتعمل المستعمرات على استغلال موارد الأراضي العربية المحيطة بالمدينة من مياه وغابات

---

١٢ ـ أ ـ عبد الله الحوراني، مرجع سابق، ص ١٤٧.
ب ـ كناعنه والمدني، مرجع سابق، ص ٩٥ ـ ٩٦.

لأغـراض الـزراعـة والصنـاعـة، كل ذلـك على حساب أهالي خان يونس الذين أصبحـوا محرومـين من ميـاه أراضيهم ومهـددين في كل لحظـة من قبل المستعمرين المتعصبين لعنصريتهم الصهيونية.

المستعمرات الإسرائيلية المقامة على أراضي خان يونس:

أقيمت ست مستعمـرات منـذ أوائـل السبعينـات حتى الوقت الحاضر فوق أراضي الـدولـة المحيطة بمدينة خان يونس من الجهتين الغربية والشمالية الغربية. ومن المتوقع أن تقيم سلطات الاحتلال الصهيوني مزيداً من المستعمرات في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة. ومن المفيد أن نقدم نبذة موجزة عن هذه المستعمرات فيما يلي[١٣]: ـ (شكل ١٠).

١ ـ غوش قطيف Gush Qatif: تقع هذه المستعمرة إلى الشمال من خان يونس. أقيمت عام ١٩٧٣ بواسطـة كتـائب النـاحـال على حوالي ١٥٠٠ دونم من أراضي خان يونس، خصصت منها ١٠٠٠ دونم لزراعة الخضار، وأقيمت على ٥٠٠ دونم حوالي ٦٠ وحـدة سكنيـة تضم ٢٠٠ من اليهـود المتـدينين المـزارعـين. والمستعمـرة موشـاف يشتمل بالإضافة إلى الوحدات السكنية على مدرسـة دينيـة، وكنيس، وعيـادة، وروضـة أطفـال وحضـانة، ومركز ثقافي، وملعب رياضة، ومطعم.

٢ ـ نيتســر حزاني Nezer Hazani: تقــع هذه المستعمـرة إلى الشـمال من خان يونس وإلى الشمال الغربي من القرارة. أقيمت عام ١٩٧٣ بواسطة كتائب النـاحـال على حوالي ٢٠٠٠ دونم من أراضي خان يونس، خصصت منهـا حوالي ١٥٠٠ دونم لزراعة الخضار، وأقيمت على ٤٩٦ دونم حوالي ١٠٠

---

١٣ ـ أ ـ المرجعان السابقان.

ب ـ قسم الـدراسـات والأبحـاث، تقـريـر الأرض المحتلة مقـدم الى المجلس الـوطني الفلسطيني في دورتـه الثـامنـة عشر المنعقدة في الجزائر بتاريخ ٢٠/٤/١٩٨٧. دار الجليل للنشر، عان ١٩٨٧، ص ٣١٤ ـ ٣١٦.

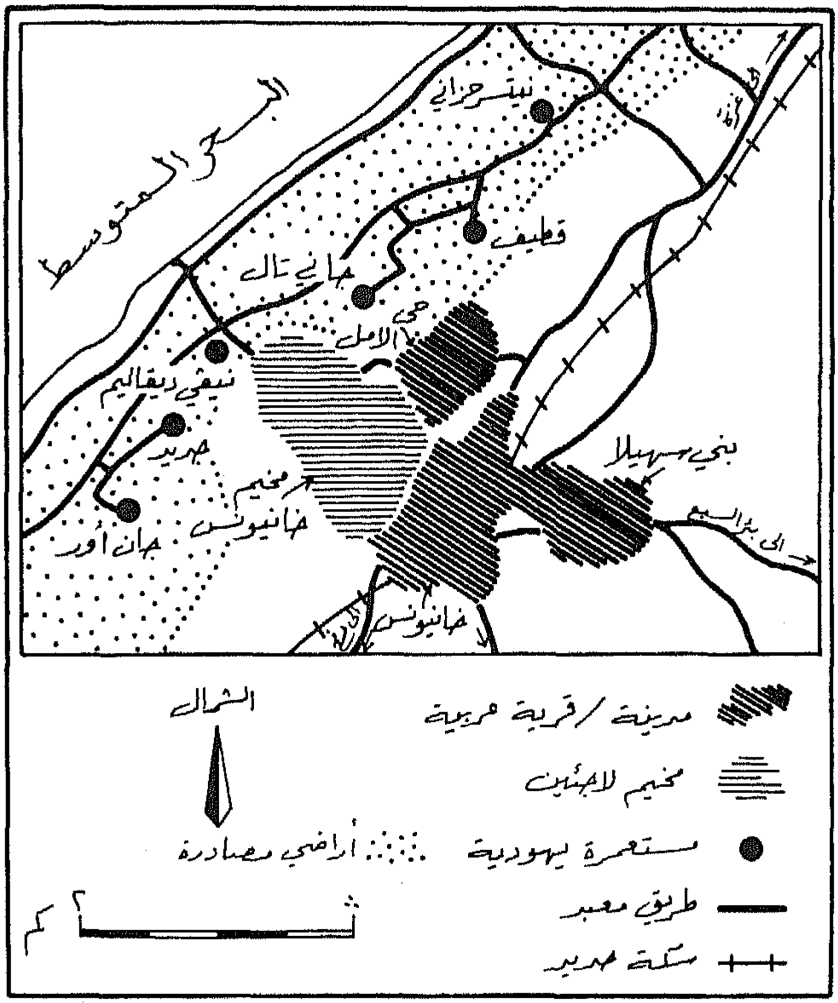

شكل - ١٠ - توزع المستعمرات الاستيطانية اليهودية حول مدينة خان يونس

وحدة سكنية تضم ٣٥٠ من اليهود المتدينين، كما أقيم مصنع لتغليف وتعبئة الخضار والفواكه على أرض مساحتها ٤ دونمات في الطرف الجنوبي للمستعمرة، ويعمل فيه حوالي ٨٠ عاملاً عربياً من المناطق المجاورة. والمستعمرة موشاف يضم أيضاً مدرسة إبتدائية وأخرى دينية، وحضانة وروضة أطفال، وملاعب رياضية، وكنيس، ومركز ثقافي، وعيادة طبية، وقاعة عامة للاجتماعات، ومطعم..

٣ ـ غاني طال Gane Tal : تقع هذه المستعمرة إلى الشمال الغربي من خان يونس على بعد ٢ كم من معسكر اللاجئين وبالقرب من شاطيء البحر. أقيمت عام ١٩٧٧ فوق ١٢٠٠ دونم من أراضي خان يونس، خصص منها ٨٥٠ دونماً لزراعة الخضار، وخصص ٣٥٠ دونماً لإقامة ٥٠ وحدة سكنية تضم ١٧٠ شخصاً من اليهود المتدينين الذين يعمل معظمهم في الزراعة. والمستعمرة موشاف ديني يشتمل أيضاً على حضانة وروضة وكنيس وملعب رياضي وعيادة طبية وقاعة عامة للاجتماعات.

٤ ـ جان أور Gan Or : تقع هذه المستعمرة إلى الجنوب من خان يونس، أقيمت عام ١٩٨٠ فوق ١٠٠٠ دونم من أراضي خان يونس، خصص منها ٨٠٠ دونم لزراعة الخضار والفواكه والورد، وخصص الباقي لإقامة ٥٠ وحدة سكنية تضم ١٨٠ شخصاً يعمل غالبيتهم في الزراعة. والمستعمرة موشاف ديني يشتمل أيضاً على روضة وحضانة ومدرسة ابتدائية وملعب رياضي وحديقة عامة وعيادة طبية وبرج للمراقبة ومصنع لتصنيف الورد.

٥ ـ جديد Gadid : تقع هذه المستعمرة إلى الجنوب الغربي من خان يونس على بعد ١/٢ كم إلى الغرب من معسكر اللاجئين. أقيمت عام ١٩٨٢ فوق ١٢٠٠ دونم من أراضي خان يونس، خصص منها ٩٠٠ دونم لزراعة الورد، وخصص الباقي لإقامة ٥٥ وحدة سكنية تضم ١٩٠ شخصاً يعمل معظمهم في زراعة الورد وتصنيعه، ومن المقرر أن يزداد عدد الوحدات السكنية إلى ١٢٠ وحدة. والمستعمرة موشاف ديني يضم أيضاً روضة أطفال وعيادة طبية وكنيس وملعب رياضي وحديقة عامة ومصنع لتصنيف وإعداد الورد.

٦ ـ نفيه دقاليم Naveh Dekalim : تقع هذه المستعمرة إلى الغرب من خان يونس على مسافة كيلومتر واحد إلى الغرب من معسكر اللاجئين، وهي قريبة من شاطيء البحر. أقيمت عام ١٩٨٣ فوق ٦٠٠ دونم من أراضي خان يونس، وتشتمل على ٧٠ وحدة سكنية تضم ٢٥٠ شخصاً يعمل عدد

كبير منهم في الأعمال الإدارية وأعمال التدريس والصيانة وفي الحاكمية العسكرية في مدينة خان يونس، ومن المقرر أن يصل عدد الوحدات السكنية إلى ١٢٠ وحدة تضم حوالي ٤٠٠ شخص. والمستعمرة مدينة ومركز لوائي لجميع مستعمرات قطاع غزة، وتوجد فيها عدة مبان من الإسمنت الثابت مكونة من طابقين وتحتوي على العديد من مكاتب العمل وقاعات التدريس والاجتماعات. كما يوجد فيها معهد ديني وكنيس ومدرستان ابتدائية وأخرى إعدادية ومكتبة ومصرف وسوبر ماركت وعيادة وملعب رياضي وروضة أطفال وحضانة ومركز اتصال رئيسي وملاجيء أمنية.

٧ ـ فات سده Fat Sade : من المتوقع أن تنشأ هذه المستعمرة في منطقة غوش قطيف شمال غربي خان يونس. وقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ ٢٣/٣/١٩٨٨ أن نواة استيطانية تتكون من سبع عائلات من المركز الزراعي التابع لحزب العمل الإسرائيلي وصلت مؤخراً إلى قطاع غزة وتعتزم العمل في منطقة غوش قطيف من أجل إقامة مستعمرة يهودية جديدة هناك. وتعتزم هذه العائلات بناء المستعمرة الجديدة بحيث تستوعب ٣٠٠ عائلة يهودية، وسيطلق عليها «فات سده».

الفصل الرابع

وظائف خان يونس

التطور الوظيفي لخان يونس:

كانت الوظيفة الحربية (العسكرية) مبرراً لنشأة خان يونس، إذ كانت قلعتها تشكل النواة الأولى للمدينة وكان الهدف من إقامتها هو حماية طريق القوافل التجارية وقوافل الحجاج التي تمر في الموضع الذي أنشئت خان يونس فوقه فيما بعد. وقد تعاقبت على القلعة حاميات متعددة منذ نشأتها في عصر المماليك وطوال العصر العثماني، ومن الطبيعي أن يعتمد أفراد تلك الحاميات وأسرهم التي كانت تقيم في بيوت حول القلعة على الوظيفة العسكرية التي تدر عليهم دخلاً يساعدهم في تحمل أعباء الحياة ومتطلباتها.

وقد رافقت الوظيفة التجارية الوظيفة العسكرية منذ البداية، ذلك لأنهما كانا صنوان متلازمان في حياة خان يونس، فالخان الذي أقيم داخل القلعة كان يستخدم كمحطة استراحة لإيواء المسافرين من تجار وحجاج، بينما كان تأسيس القلعة يستهدف حماية خان يونس موقعاً وموضعاً لأن حاميتها لم تكن تشرف على توفير الأمن والحماية طريق القوافل المارة في خان يونس فحسب، بل أنها تكفلت أيضاً بحماية الخان وما يشتمل عليه من مسافرين وبضائع، إضافة إلى توفير الأمن للمواطنين المقيمين حول الخان.

وكـان من المحتم أن تظهـر الوظيفة الزراعية التي مارسها المستقرون من بدو وفـلاحـين حول نواة خان يونس أي في أطـراف هذا المـركـز العمـراني النـاشيء. فالإنتاج الزراعي كان ضرورة أملتها طبيعة موقع خان يونس وموضعها لكي يقدم الاحتيـاجـات التمـوينيـة والغذائية اللازمة لسكانها من جهة، وللمسافرين الذين يتـوقفـون في خانهـا لبضعـة أيام من جهة ثانية. وقد اعتمدت الزراعة أساساً على ميـاه الأمطـار التي كانت كافيـة لنمو المحاصيل الزراعية البعلية، وتوسعت الوظيفة الـزراعيـة لخان يونس بحكم موقعهـا على حافـة الصحراء أيضاً، إذ اعتمد البدو على أسواقها للتزويد باحتياجاتهم التموينية ومستلزمات حياتهم اليومية مقابل بيع منتجاتهم الحيوانية في تلك الأسواق.

وفي العصـر العثـماني أضيفت إلى الـوظائف التجارية والزراعية والعسكرية وظيفة رابعة هي الوظيفة الإدارية، إذ كانت خان يونس مركز ناحية يتبعها عدد من القـرى المجـاورة هي ديـر البلح والقـرارة وبني سهيلة وعبسـان الصغـيرة وعبسـان الكبيرة وخزاعة والشيخ نوران وغيرها.

وفي فترة الانتداب البريطاني تطورت الوظائف سالفة الذكر ما عدا الوظيفة العسكـريـة التي اختفت من المدينة في أواخر العصر العثماني. وأسهمت بلدية خان يونس في تقـويـة الـوظيفـة الإداريـة للمـدينـة بإشرافها أيضاً على القرى التابعة. ازدهـرت التجـارة لقـرب خان يونس من صحـراء سينـاء وصحراء النقب، إذ كان البـدو يؤمـون أسـواقهـا ويتبـادلون السلع مع تجارها. وأخذت الوظيفة التعليمية تنشـط تدريجيـاً مع فتـح المـدارس الجـديدة لأول مرة في أوائل فترة الانتداب، كما بدأت وظيفـة الصيـد البحـري تنمـو تدريجيـاً باتجـاه بعض المواطنين من أبناء خان يونس نحو حرفة صيد الأسماك وطيور السمّان المهاجرة من غربي البحر المتوسط نحو شرقه.

وكـان لتـدفق اللاجئين الفلسطينيين للإقامة في خان يونس في أعقاب حرب عام ١٩٤٨ أثـر كبـير في تنشيـط عمليـة التطـور الوظيفي للمدينة، إذ حمل هؤلاء الـلاجئـون معهم خبراتهم الـزراعيـة والصنـاعيـة والتجارية والتعليمية لتسهم في تنشيـط وظـائف المـدينـة. وقـد جلب بعض أبنـاء اللاجئين رؤوس أموالهم معهم

لاستثمارها في إقامة بعض المشروعات الصناعية والتجارية، وعلى سبيل المثال قامت صناعة الفانلات والتريكو والثياب العسقلانية والغزل والنسيج، كما فتحت محلات تجارية لأنواع مختلفة من السلع. وأسهم بعض أبناء اللاجئين في تنشيط حركة الصيد البحري وأعمال الزراعة المروية في منطقة المواصي المحاذية لشاطيء البحر المتوسط. وقد ازدهرت الوظيفة التعليمية للمدينة بالتوسع في فتح المدارس والتحاق أعداد كبيرة من أبناء خان يونس في الجامعات المصرية والجامعة الإسلامية بغزة.

وفي عهد الإدارة المصرية كانت خان يونس مركزاً إدارياً للمنطقة الجنوبية من قطاع غزة، ويشرف على إدارة هذه المنطقة حاكم إداري مصري، لذا قامت في خان يونس بعض الدوائر الحكومية والمحاكم الشرعية والمدنية التي تقدم خدماتها لمواطني المدينة والقرى التابعة لها.

شهدت خان يونس خلال السنوات الأولى للاحتلال الإسرائيلي الذي تعرضت له عام ١٩٦٧ ركوداً في مختلف وظائفها التجارية والزراعية والصناعية والتعليمية والإدارية، وذلك بسبب عدم استقرار الأوضاع العامة داخل قطاع غزة نتيجة حرب الاستنزاف على الجبهتين المصرية والأردنية من جهة، ونشاط حركة المقاومة العربية للاحتلال الإسرائيلي داخل قطاع غزة من جهة ثانية. وتشهد خان يونس منذ بدء الانتفاضة الحالية ركوداً في نشاطاتها الوظيفية أكبر من الركود الذي شهدته في أواخر الستينات وأوائل السبعينات. غير أن المدينة شهدت استقراراً نسبياً خلال الفترة (١٩٧٣ ـ ١٩٨٧)، وانعكس ذلك الاستقرار على تنشيط فعاليات الوظائف المختلفة وانفتاحها على الضفة الغربية وفلسطين المحتلة، وعلى مصر والأردن في الخارج.

وتعكس نسبة العاملين في القطاعات الوظيفية المختلفة الأهمية النسبية التي يحظى بها كل قطاع وظيفي في خان يونس. وليس لدينا أرقام دقيقة عن القوى البشرية في المدينة بما فيها الأفراد الذين يعملون في الخارج سواء أكان ذلك في (إسرائيل) أو في الأقطار العربية النفطية. غير أن المسؤولين في بلدية خان يونس أشاروا إلى ارتفاع نسبة العاملين في قطاع التجارة بحيث أن هذا القطاع يتبوأ

المرتبة الأولى بين القطاعات الوظيفية من حيث نسبة عدد العاملين فيه إلى مجموع القوى البشرية العاملة في المدينة. وكما سبق أن ذكرنا فإن العلاقات التجارية قوية بين خان يونس وكل من القطاع والضفة وإسرائيل.

ويشغل قطاع الصناعة المرتبة الثانية بعد قطاع التجارة من حيث نسبة عدد العاملين فيه. ويعمل معظم العاملين في الصناعة في ورش صغيرة داخل المدينة، بينما يعمل بعضهم في مصانع داخل (إسرائيل). ويأتي قطاع الزراعة في المرتبة الثالثة من حيث نسبة عدد العاملين فيه، إذ ازداد اهتمام المواطنين بأراضيهم الزراعية البعلية والمروية المحيطة بالمدينة مما وفر فرص عمل لعدد كبير نسبياً من المزارعين، علماً بأن عدداً محدوداً من العاملين في الزراعة يعمل في المزارع الإسرائيلية.

ويشغل قطاع البناء والتشييد المرتبة الرابعة من حيث نسبة عدد العاملين فيه، ويعمل معظم العاملين في هذا القطاع داخل (إسرائيل) لازدياد الطلب عليهم، بينما يعمل عدد محدود منهم داخل خان يونس. أما العاملون في الخدمات الإدارية والتعليمية والصحية والاجتماعية فإن عددهم محدود في المدينة، وبالتالي فإن نسبتهم تكون قليلة بالمقارنة مع نسب العاملين في القطاعات الأخرى.

نبذة موجزة عن الوظائف الرئيسة:

الوظيفة التجارية:

يسهم الموقع ورأس المال والقطاعات الإنتاجية في تحديد حجم الوظيفة التجارية وفعاليتها الوظيفية. وقد سبق أن أشرنا إلى أن خان يونس كمركز حضري يقع إلى الجنوب قليلاً من وسط قطاع غزة على حافة صحراء النقب ـ سيناء، يجعل منه نقطة انقطاع بين بيئتين زراعية وصحراوية من جهة، وداخلية وساحلية من جهة ثانية، الأمر الذي يترتب عليه حتمية رواج التجارة في مثل هذا الموقع. كما سبق أن أشرنا إلى الدور الذي يلعبه رأس المال في إقامة المشروعات التجارية

والسكنية والصناعية والزراعية التي تؤدي بدورها إلى تنشيط الحركة التجارية وزيادة حجم الوظيفة التجارية. ويرجع الفضل إلى المغتربين من أبناء خان يونس الذين يرسلون الحوالات المالية لذويهم في المدينة، وتتوزع هذه الأموال بين الإنفاق المعيشي والادخار والاستثمار.

وقد شهدت خان يونس نشاطاً تجارياً كبيراً كغيرها من المراكز الحضرية في قطاع غزة أثناء فترة الإدارة المصرية وبالذات خلال الفترة (١٩٥٧ - ١٩٦٧)، إذ كانت الإدارة المصرية تشجع الانفتاح التجاري للقطاع على العالم الخارجي، في الوقت الذي فرضت فيه قيوداً على التجارة الخارجية المصرية، مع السماح لأفواج السواح المصريين بزيارة قطاع غزة للتسوق بها، فأقيم العديد من المعارض والمحلات التجارية بفضل الحوالات المالية التي يبعث بها المغتربون ليستثمر جزء كبير منها في قطاع التجارة.

وقد استمر هذا الرواج التجاري وتطور بصورة ملحوظة خلال سنوات الاحتلال الأخيرة قبل بدء الانتفاضة. إذ ارتبطت خان يونس كغيرها من المراكز الحضرية في القطاع بإسرائيل اقتصادياً، وأخذت المنتجات الإسرائيلية تملأ أسواق المدينة، وأقيمت بعض المعارض الصناعية التي ترتبط بصناعات عربية إسرائيلية مشتركة كصناعة الملبوسات مثلاً. ومن جهة ثانية فإن تطور الإنتاج الزراعي حول مدينة خان يونس والتوسع في الزراعة المروية والمحمية، عملا على زيادة الإنتاج الذي يجد طريقه إلى الأسواق المحلية في المدينة، إضافة إلى تصديره إلى أسواق القطاع والضفة و(إسرائيل).

وتتركز الوظيفة التجارية في وسط المدينة حيث توجد المحلات التجارية على طول الشوارع الرئيسة، كما تتركز في شارع البحر الذي يربط بين المدينة ومعسكر اللاجئين. وبالإضافة إلى الأسواق اليومية التي تعرض فيها المنتجات الزراعية والصناعية وغيرها للزبائن، فإن هناك سوقاً كبيرة تقام كل يوم أربعاء أسبوعياً وتعرض فيها مختلف السلع من خضار وفواكه وحبوب ومشتقات ألبان وأقمشة وملبوسات وأدوات منزلية وكهربائية ومجوهرات وغيرها. ويلتقي في هذه السوق عدد كبير من أبناء خان يونس وقطاع غزة والمناطق المجاورة لشراء حاجياتهم. وتقام

في اليوم نفسه سوق متخصصة لتجارة الحيوانات في مكان آخر يقع في طرف المدينة وتعرض فيه أنواع مختلفة من الحيوانات للبيع والشراء.

الوظيفة الصناعية:

عرفت خان يونس بعض الصناعات الصغيرة منذ نصف قرن مضى مثل صناعات الألبان وتربية الدواجن والخبز والحلويات وغزل الصوف والتجارة والحدادة، وكانت هذه الصناعات محدودة ويقتصر بعضها على العمل في البيوت. ومنذ عام ١٩٤٨ أخذت تنمو ببطء، وأسهم قدوم اللاجئين إلى المدينة في تطويرها والنهوض بها نتيجة جلبهم بعض رؤوس الأموال معهم وكذلك خبراتهم التي اكتسبوها في فلسطين. وقد ازدهرت خلال الخمسينات والستينات صناعة الغزل والتريكو والأقمشة التي تصنع منها الثياب العسقلانية، وذلك على أيد أبناء مجدل عسقلان الذين لجأوا إلى المدينة وأقاموا فيها، غير أن صناعة هذه الثياب اضمحلت منذ أوائل السبعينات لعدم إقبال المواطنين عليها، وأدخلت صناعات جديدة بدلاً منها كصناعات الملبوسات الجاهزة.

يتميز قطاع الصناعة في خان يونس حالياً بصغر حجمه، إذ تسود الصناعات الخفيفة التي لا تحتاج لخبرات أو رؤوس أموال كبيرة. ويمكن أن نتعرف على الصناعات التالية:

١ ـ **الصناعات الغذائية**: وتعد هذه الصناعات من بين أهم النشاطات الصناعية في خان يونس. ويوجد في المدينة مصنعان للأسكيمو (المثلجات) يملكها لاجئان من أبناء بيت داراس المقيمين في خان يونس، ويتميز المصنع الأول بكبره، إذ يعمل فيه حوالي خمسين عاملاً، ويعد من أضخم مصانع الأسكيمو في قطاع غزة، وينتج الأسكيمو في فصل الصيف، بينما ينتج مادة الكوشا في بقية فصول السنة، وتتألف مكوناتها من مواد البسكويت والكاكاو والحليب، ويزود المصنع قطاع غزة والضفة الغربية و(اسرائيل) بمنتجاته من الأسكيمو والكوشا. أما المصنع الثاني فإنه صغير الحجم ويقتصر إنتاجه على الأسكيمو. وهناك صناعات غذائية أخرى مثل الخبز والحلويات، إذ يوجد منها أربعة مصانع في معسكر اللاجئين

وثلاثة مصانع في المدينة، ومنتجات الألبان والدواجن التي يصنع معظمها في البيوت.

٢ ـ **الصناعات الكيماوية**: وتقوم صناعة المنظفات الكيماوية في حي الزعاربة جنوبي خان يونس.

٣ ـ **صناعات السجاد والملبوسات**: وتنتشر صناعات السجاد في البيوت، إذ تنتج بكميات تجارية مختلف أنواع السجاد الصغيرة منها والكبيرة. أما الملبوسات فأشهرها مصنع ملبوسات أبو هلال الذي يشتغل فيه أكثر من ثلاثين عاملاً، ويعتمد على استيراد الأقمشة من (إسرائيل)، وتنحصر مهمته في قص الأقمشة وتصنيعها وبيعها في المدينة والقطاع والضفة. إضافة إلى ذلك هناك عشرات المعارض التجارية التي تتبعها عشرات مصانع الملبوسات الخاصة بها والمتخصصة في إنتاج ملابس النساء الداخلية. كما تنتشر ظاهرة صناعة الملبوسات في البيوت، إذ توجد عشرات المصانع التي تخصص لها بيوت سكنية وتنتج ملبوسات متنوعة لمختلف فئات السن وبخاصة ملابس الأطفال، ويتراوح عدد العاملات في هذه المصانع العربية ما بين ٥ ـ ٢٠ عاملة للمصنع الواحد، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المصانع ترتبط بمؤسسات صناعية يهودية في (إسرائيل)، وتتولى هذه المؤسسات مهمة تزويد المصانع العربية بالأقمشة التي تصنع في المصانع العربية لتعود مرة ثانية للقيام بتسويق إنتاجها من الملبوسات الجاهزة في (إسرائيل).

٤ ـ **صناعة مواد البناء**: يوجد ٨ مصانع لإنتاج طوب الإسمنت في خان يونس، وتقسم إلى قسمين: القسم الأول مصانع يدوية والقسم الثاني مصانع آلية، ويستورد الإسمنت اللازم لهذه الصناعة من (إسرائيل)، كما يسوق إنتاجها من طوب البناء محلياً داخل المدينة.

٥ ـ **صناعة الخدمات**: تتنوع هذه الصناعة التي تعتمد على الخدمات، فبعضها يقوم بتقديم الصيانة والإصلاح اللازمين للسيارات، وبعضها الآخر يقوم بأعمال الحدادة والخراطة والنجارة وإصلاح الأحذية.

٦ ـ **الصناعة الخشبية**: تقوم هذه الصناعة بإنتاج الموبيليا والأثاث والأبواب والشبابيك.

الوظيفة الزراعية:

تجمع خان يونس بين الطابع الريفي والطابع الحضري، لذا فإن عدداً لا بأس به من سكان المدينة والقرى المجاورة يعملون في الزراعة وتربية الثروة الحيوانية والطيور. وتتميز الحيازة الزراعية بصغر مساحتها، وبخاصة بالنسبة للحيازات الزراعية المروية. ويعد القمح والشعير من أهم المحاصيل الحقلية المزروعة حول المدينة، غير أن أراضي خان يونس المزروعة بعلاً تصلح لزراعة الشعير أكثر من زراعة القمح، لذا فإنها تنتج كميات قليلة من القمح. وتأتي منطقة خان يونس في المرتبة الثانية بعد منطقة رفح من حيث مساحة الأرض المزروعة شعيراً وإنتاجه[1].

وتعتمد زراعة الخضار حول خان يونس على مياه الأمطار والآبار، وتسهم الخضار المروية بغالبية إنتاج خان يونس من الخضار لاتساع مساحة الأراضي المخصصة لزراعتها من جهة ، ولارتفاع إنتاجية الخضار المروية بالمقارنة مع إنتاج الخضار البعلية من جهة ثانية. وهناك محاصيل البطيخ والشمام والباميا والفقوس تزرع بعلاً، بينما تزرع على الري محاصيل البندورة والباذنجان والخيار والفلفل والكوسا والفاصوليا والفول الأخضر والملفوف والقرنبيط. ويطبق المزارعون من أهالي خان يونس أحدث الأساليب الزراعية كالري بالتنقيط والرشاشات وكاستخدام البيوت البلاستيكية.

وتعتبر الحمضيات من أهم الأشجار المثمرة التي تزرع حول خان يونس تليها أشجار اللوز والجوافة والزيتون والعنب والنخيل، وتعتمد الأشجار المثمرة على مياه الأمطار والري من الآبار، وتتركز نسبة كبيرة من محاصيل الخضار والفواكه في منطقة المواصي بمحاذاة شاطيء البحر. ومن الجدير بالذكر أن المساحة المزروعة بالأشجار المثمرة (ما عدا الزيتون) شهدت تناقصاً خلال فترة الاحتلال الصهيوني للمدينة، وعلى سبيل المثال انكمشت المساحة المخصصة لزراعة الحمضيات حول خان يونس إلى ٧٩٧٢ دونماً في عام ١٩٨٢/١٩٨٣، وهي جزء

---

١ ـ حسن صالح، الانتاج الزراعي في قطاع غزة، مرجع سابق، ص ٥١.

من مشكلة انكماش مساحتها في قطاع غزة ككل، إذ انكمشت في القطاع في العام نفسه لتهبط مساحتها إلى ٧١,٥٠٠ دونم، وكان التناقص يحدث بمعدل ٠,٧٪ من المساحة سنوياً[٢].

الوظيفة التعليمية والثقافية:

اشتملت خان يونس خلال فترة الانتداب البريطاني على مدرستين حكوميتين إحداهما ثانوية للبنين والأخرى ابتدائية للإناث. وقد شهدت المدينة منذ أوائل الخمسينات نهضة تعليمية تمثلت في فتح عشرات المدارس التي تضم آلاف الطلاب من ذكور وإناث. وقد تخرج آلاف الجامعيين من أبناء خان يونس منذ ذلك الوقت، وأسهم هؤلاء في تنشيط الحركة العلمية والثقافية والفكرية في المدينة وفي الخارج.

ويشكل التعليم الأكاديمي بمراحله الإبتدائية والثانوية النوع السائد للتعليم في المدينة، ولا يوجد تعليم مهني كالتعليم الزراعي والتعليم الصناعي في خان يونس، ويضطر بعض الطلبة الراغبين في التعليم الصناعي إلى الالتحاق بالمعهد الصناعي في غزة بعد انهائهم لمرحلة الدراسة الإعدادية، حيث يتخصصون في إحدى المهن التي تؤهلهم للعمل في المدينة أو في الخارج. إضافة إلى ذلك فإن بعض الطلبة الذين أنهوا دراستهم الإعدادية يلتحقون بدورات تدريب مهني خارج خان يونس مدتها ستة شهور يتلقون فيها تدريباً عملياً على أعمال البناء والتجارة والحدادة والخراطة والبرادة وميكانيكا للسيارات[٣].

يبلغ عدد المدارس في خان يونس، للعام الدراسي ١٩٨٧ /١٩٨٨، ٣٢ مدرسة تابعة لكل من الحكومة ووكالة غوث اللاجئين، وهي موزعة على النحو التالي:

---

٢ ـ فراس صالحة، دراسة تحليلية لمشاكل تسويق الحمضيات في قطاع غزة. مجموعة الدراسات الاستشارية رقم (٤)، مركز الدراسات الريفية، نابلس ١٩٨٣.

٣ ـ نهضة كمال الأغا، نظام التعليم وأهدافه في قطاع غزة، مجلة صامد الاقتصادي، العدد ٦٥، ١٩٨٧، ص ٦٠ ـ ٨٦.

المرحلة الدراسية / الهيئة المشرفة	ابتدائية		اعدادية		ثانــوية		ابتدائية، اعدادية	المجموع
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	مختلطة	
الحكومة	٤	٤	١	٢	٢	٢	١	١٦
وكالة غوث اللاجئين	٦	٦	٢	٢	-	-	-	١٦
المجموع	١٠	١٠	٣	٤	٢	٢	١	٣٢

ومن الجـديـر بالذكر أنه لا يوجد تعليم خاص في خان يونس ، وأن المدارس الحكـوميـة تقدم التعليم لكافة مراحله الابتدائية والإعدادية والثانوية ، بينما تقتصر مدارس وكـالـة غوث اللاجئين على المرحلتين الإبتدائية ، الإعدادية . ومما يسترعي الانتباه تساوي عدد كل من المدارس الحكومية ومدارس لة الغوث ، إضافة إلى تسـاوي عدد مدارس كل من الـذكـور والإناث . وتعمل معظم المدارس الإبتدائية

ومـدرسـة إعـداديـة واحدة للإناث على فترتين إحداهما فترة صباحية والثانية فترة مسائية . وتتركز غالبية المدارس (٢٢ مدرسة) في شارع البحر داخل منطقة معسكر اللاجئين . وتوجد مدرسة حكومية ابتدائية إعدادية مختلطة للذكور والإناث في حي الأمل بالمدينة .

وفيما يتعلق بالتعليم العالي يمكن القول بأن بعض خريجي المدارس الثانوية يلتحقـون بمعـاهـد المعلمـين والمعلمات للحصو ، على دبلوم المعلمين بعد دراسة سنتـين في أحـد تخصصـات العلوم والـريـاضيـات واللغة العربية والاجتماعيات ، ويـواصـل بعض الخريجين من الحاصلين على دبلوم المعلمين تحصيلهم العلمي في

الجامعات المصرية للحصول على بكالوريوس من كليات المعلمين، بينما يوظف بعضهم الآخر معلمين للمرحلة الإبتدائية بعد تخرجهم من معاهد المعلمين الموجودة في غزة. إضافة إلى ذلك فإن البعض من حملة الثانوية العامة يلتحقون بإحدى الجامعات في القطاع والضفة أوفي جامعات عربية في الخارج، ويلتحق عدد لا بأس به من أبناء خان يونس في الجامعة الإسلامية في مدينة غزة.

وفيما يتعلق بالوظيفة الثقافية نجد أنها مرتبطة بالوظيفة التعليمية، غير أن الحركة الثقافية محدودة في الوقت الحاضر بسبب أوضاع الاحتلال. وتفتقر المدينة إلى المكتبات العامة مع أنه توجد مكتبات خاصة بالمدارس. ويوجد في خان يونس ناديان ثقافيان رياضيان، أحدهما يعرف باسم نادي خدمات خان يونس، وتشرف عليه وكالة غوث اللاجئين، وثانيهما يعرف باسم نادي شباب خان يونس (الرعاية)، وتشرف عليه بلدية خان يونس. ويقع الناديان على جانبي شارع البحر في منطقة معسكر اللاجئين.

الوظيفة الصحية:

يوجد مستشفى واحد في خان يونس، وهو مستشفى ناصر الذي يعد ثاني أكبر مستشفى في قطاع غزة، ويتسع هذا المستشفى إلى **٢٣٠** سريراً، وفيه **٥٢** طبيباً في مختلف التخصصات. كما يوجد في المدينة ثلاث عيادات صحية، إثنتان منهما حكوميتان، والثالثة تابعة لوكالة غوث اللاجئين. إضافة إلى ذلك فإن المدينة تشتمل على عدد من العيادات الطبية البشرية الخاصة وعيادات طب الأسنان. ويعاني كل من المستشفى والعيادات الصحية من ضعف الإمكانات في ظل الاحتلال الإسرائيلي، لذا يلجأ كثير من المرضى إلى المستشفيات الإسرائيلية.

والجدير بالذكر أن صحة البيئة مهملة في قطاع غزة عامة وفي خان يونس خاصة، حيث أن البلديات لا تقوم بواجبها على الوجه الأكمل لعدم توافر الإمكانات الضرورية لها. غير أن السلطات الإسرائيلية تهتم بالطب الوقائي والتطعيم وذلك خوفاً من انتشار الأمراض والأوبئة وتفشيها وانتقالها لإسرائيل.

الوظيفة الدينية :

تعد خان يونس مدينة عربية إسلامية ، ويكاد يكون كل سكانها من المسلمين السنيين . ويوجد في المدينة سبعة عشر مسجداً تتوزع ما بين المدينة ومعسكر اللاجئين . وتشرف دائرة الأوقاف على خمسة مساجد من خان يونس ، أما بقية المساجد فإنها تأسست على حساب المحسنين من أهل الخير ، حيث يتولى هؤلاء أيضاً الإنفاق على إدارتها والإشراف عليها ، وتطلق أسماء معينة على كل مسجد مثل مسجد التقوى ، ومسجد بلال ، ومسجد فلسطين ، ومسجد الشهداء ، وترمز هذه الأسماء إلى اهتمام المواطنين بالربط بين العقيدة الإسلامية والوطن السليب . وتلعب المساجد دوراً سياسياً إلى جانب دورها الوظيفي الديني منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ للمدينة .

التوزع الوظيفي القطاعي لخان يونس :

هناك قوتان تتصارعان داخل المدينة ، إحداهما قوة طاردة من المدينة ، وثانيتهما قوة جاذبة إليها ، ويتم نتيجة هذا الصراع بين المركز والأطراف تشكيل التوزع الوظيفي على قطاعات المدينة أو حلقاتها(٤) . وأول من تحدث عن هاتين القوتين تشارلس كولبي الجغرافي الأمريكي الذي نشر بحثاً حول القوة الطاردة والقوة الجاذبة للمدينة . وبناء على دراسته وجد كولبي أن المدينة تنقسم إلى ثلاث حلقات أو قطاعات دائرية هي(٥) : ـ الحلقة الداخلية والحقلة الوسطى والحلقة الخارجية .

---

٤ ـ أ ـ T. H. Truman, Interpreting the City: An Urban Geography. John Wiley, New York 1980, p. 210.

ب ـ أحمد اسماعيل ، دراسات في جغرافية المدن . مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٦٣ .

٥ ـ حسن الخياط ، التركيب الداخلي للمدن ، مجلة الأستاذ ، المجلد (١٢) ، بغداد ١٩٦٤ ، ص ٧٠ .

١ ـ الحلقة الداخلية (حي الأعمال المركزي):

تتركز هذه الحلقة التي تشكل قلب خان يونس في وسط المدينة. وتشتمل على حي الأعمال المركزية الذي يشغل تقاطع امتداد شارع جمال عبد الناصر جنوباً مع امتداد شارع البحر شرقاً.، وتنتشر المحلات التجارية المتنوعة على طول هذا التقاطع. ويعد شارع البحر الشارع التجاري الأساسي في خان يونس مع امتداده شرقاً حتى جامع السنّية. وتسود الوظيفة التجارية في حي الأعمال المركزي متمثلة في الشركات والمكاتب والبنوك والأسواق والمحلات التجارية الكبيرة وحوانيت التجزئة والجملة بجميع أنواعها. كما توجد أيضاً ملحقات الوظيفة التجارية كالمحلات العامة وشركات النقل والفنادق والمطاعم ومواقف السيارات العامة على الخطوط التي تربط خان يونس ببقية أجزاء القطاع والضفة و(إسرائيل) ومصر.

ويزداد الطلب باستمرار على الأرض في مركز المدينة، فترتفع قيمة الأراضي وإيجارات المباني، ويظهر رد الفعل في توسيع قلب المدينة في اتجاهين: اتجاه رأسي يتمثل في تعدد طوابق العمارات، واتجاه أفقي يتمثل في زحف القلب نحو الحلقة الوسطى من المدينة. ويتخذ زحف القلب شكل المحاور في امتداده نحو الشمال الغربي إلى معسكر اللاجئين وحي الأمل، ونحو الجنوب إلى أحياء بيوك والشاعر. ويمكن القول بأن القلعة تشكل مركز قلب المدينة، إذ نجد أن الشوارع التجارية الرئيسة في المدينة تحيط بالقلعة من جميع الجهات باستثناء الجهة الجنوبية الشرقية. غير أن شارع البحر يظل أهم شارع تجاري رئيسي في المدينة، فهو يعج بالحركة على الدوام.

وتأتي الوظيفة الصناعية في المرتبة الثانية بعد الوظيفة التجارية داخل وسط المدينة، إذ نجد أن المصانع المرتبطة بالمعارض التجارية تقوم في قلب المدينة، كما أن بعض الصناعات الخفيفة تنتشر هنا كصناعات الخبز والحلويات والحياكة وتصليح الساعات والأحذية. أما الوظيفة السكنية فإنها تحتل المرتبة الثالثة علماً بأنها كانت ذات أهمية أكبر في الماضي. وتشغل الوظيفة الإدارية جزءاً ثانوياً من منطقة قلب المدينة، إذ نجد أنها تتركز في أطراف القلب كالوظيفة السكنية، ويمكن أن

نعزو تركز هاتين الوظيفتين، في أطراف القلب إلى حقيقة تجنبهما للضوضاء والضجيج من جهة، وللتخلص من الأجور المرتفعة التي تتميز بها المنشآت العمرانية في مركز المدينة من جهة ثانية.

٢ - الحلقة الوسطى:

تشكل الحلقة الوسطى منطقة انتقال بين قلب المدينة وأطرافها، وكذلك تجمع بعضاً من خصائص كل منهما في الوظيفة والتركيب. فهي من حيث الوظيفة تعد أساساً منطقة سكنية، كما أنها تشتمل أيضاً على الوظيفتين التجارية والصناعية. ونظراً لغزو المحلات التجارية والورش الصناعية لهذه المنطقة فإنها أصبحت غير صالحة كثيراً للسكنى.

تنتشر المحلات التجارية في المنطقة الوسطى على طول الشارع الرئيسة التي هي امتداد لشوارع حي الأعمال في قلب المدينة. وتشتمل الحلقة الوسطى على أنواع خاصة من مؤسسات الخدمات كالمباني الإدارية والمدارس والمستشفيات والعيادات الصحية والنوادي. كما تشتمل على صناعات خفيفة تقوم على وحدات صغيرة من الأرض والمباني كالورش القائمة في شارع جلال والشارع الذي يصل بين شارع جلال وشارع جامع السنّية. كما تقوم أيضاً داخل البيوت السكنية كمصانع الملبوسات الجاهزة والسجاد والدواجن والموبيليا والأثاث.

٣ - الحلقة الخارجية:

تشكل الحلقة الخارجية أطراف المدينة التي تمتد بصورة غير منتظمة عبر الامتداد الأفقي للمدينة وعلى طول شرايين الطرق الرئيسة. وتتميز بسيادة وظائف هامشية معينة هي أساساً السكنى والصناعة، هذا عدا وظائف ثانوية تلحق بالوظيفة السكنية كوظائف التجارة والخدمات والزراعة. وقد سبق أن أشرنا إلى أن خان يونس امتدت نحو الشمال الغربي لتلتحم المدينة بمعسكر اللاجئين، كما

امتدت على طول الطريق المؤدية إلى كل من غزة ورفح، وأنشيء حي الأمل منذ عام ١٩٧٧ ليدعم الوظيفة السكنية في أطراف المدينة، وقامت بعض المصانع هنا كمصنع الأسكيمو ومصانع طوب الإسمنت، كما قامت بعض المرافق التعليمية والدينية كالمدارس والمساجد. وتنشط الوظيفة الزراعية في الأراضي الزراعية المستغلة حول أطراف المدينة متداخلة بين المباني. وتتخذ التجارة شكل المحلات التجارية المنفردة التي تنتشر بين المباني السكنية، ومعظمها تجارة تجزئة لمحلات البقالة. وهناك سوق فسيحة أسبوعية لبيع الحيوانات أقيمت مؤخراً في أطراف خان يونس.

وإذا كانت المنطقة المركزية (الحلقة الداخلية) لخان يونس منطقة طاردة لبعض الوظائف كالوظيفة السكنية والوظيفة الصناعية والوظيفة الإدارية، فإن الحلقتين الوسطى والخارجية للمدينة تجد بأن الوظائف التي يحاول قلب المدينة التخلص منها. ويمكن أن نذكر بعض العوامل التي تسهم في جذب الوظائف سالفة الذكر إلى الحلقتين الوسطى والخارجية فيما يلي:

أ ـ وجود مساحات أكبر من الأراضي التي يمكن التوسع فيها بتكلفة قلية نسبياً.

ب ـ سهولة الوصول، وقلة مشكلات المرور، وتوفر المساحات الكافية لأغراض التحميل والتفريغ ووقوف السيارات الخصوصية، وهذه عوامل تؤدي إلى جذب كثير من الأنشطة الصناعية والتجارية إلى الحلقتين الوسطى والخارجية.

جـ ـ رخص الأراضي، وانخفاض قيمة الأجور، والهدوء النسبي، والبعد عن التلوث، كل ذلك يشجع على إقامة المرافق والمخازن التجارية والمساكن والنوادي والمنتزهات وغيرها.

الفصل الخامس

التركيب العمراني

المخطط الهيكلي لخان يونس :

يتكون مخطط المدينة من ثلاثة عناصر هامة :

أ ـ نظام الشوارع . ب ـ نمط قطع الأراضي . جـ ـ نمط الأبنية .

إذا ألقينا نظرة على خارطة المخطط الهيكلي لخان يونس نلاحظ أن نظام الشوارع يتألف من خطوط متعامدة وشبه متوازية ، وهو ما يعرف بالمخطط المستطيل الذي يتناسب مع موضع المدينة . وقد سبق أن أشرنا إلى أن موضع خان يونس سهلي منبسط ، ومن ميزات هذا المخطط أنه يتمشى مع أسطح الأرض السهلية المنبسطة ، حيث تكون الشوارع مستقيمة تقريباً ، ويتم البناء بسهولة وفقاً لها ، كما أنه يمكن الإفادة من كل الأرض ، وكذلك تسهل عملية تقسيم الحي إلى الخدمات المختلفة . غير أن المخطط المستطيل يجعل من الشوارع ممرات سهلة لعبور الرياح فيها ، كما أنه يعرضها للإشعاع الشمسي .

ويتميز مخطط خان يونس بأنه يقوم على أساس تقاطع شارعين رئيسين متعامدين على بعضهما البعض ، ويشكل هذان الشارعان قلب المدينة حيث تمتد الأسواق على طولها . أما شارع جمال عبد الناصر (القلعة) الذي تطل قلعة المدينة على امتداده الشمالي الجنوبي فإنه يعد من أكثر شوارع المدينة قدماً . وأما شارع

البحر فإنه يعد من الشوارع الحديثة نسبياً باستثناء الجزء القريب من شارع القلعة والمتعامد عليه فإنه يعد من أكثر أجزاء شارع البحر قدماً، ويمتد شارع البحر في تعامده على شارع القلعة من الشرق إلى الغرب. ولا شك أن هذين الشارعين الرئيسين أسهما في توجيه نمو مدينة خان يونس وإعطائها شكلها العام، مما يعكس أهمية صفات الموضع على مورفولوجية المدينة. لقد كان نمو خان يونس طولياً على امتداد شارع القلعة في القديم، واستمر طولياً على امتداد شارع البحر خلال الثلاثين سنة الأخيرة.

وقد امتدت المدينة عبر تاريخها ما قبل عام ١٩٤٨ في نمو طبيعي بطيء، وحدث عكس ذلك بعد عام ١٩٤٨ عندما امتدت على طريقة القفز، حيث أنشيء معسكر اللاجئين على جانبي شارع البحر وترك فراغاً من الأرض بين الرقعة المبنية للمدينة الأصلية ومعسكر اللاجئين. غير أن سرعة نمو المدينة أدى إلى امتدادها نحو المعسكر وإلتحامها معه، حيث يوجد شارع يفصل بين المدينة والمعسكر موازٍ لشارع القلعة ومتقاطع مع شارع البحر. وإذا أضفنا طريق غزة - خان يونس - رفح الموازي لشارع القلعة من الجهة الشرقية للمدينة يصبح لدينا ثلاثة شوارع رئيسة متوازية تخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب، ويعد شارع القلعة من أقدمها. ومن جهة ثانية هناك شارعان موازيان لشارع البحر ومتعامدان على شارع القلعة في امتدادهما من الغرب إلى الشرق. وهكذا يمكن القول بأن شبكة الشوارع الرئيسة في خان يونس تعمل على تقسيم المدينة إلى قسائم (بلوكات) من الأرض المبنية والمستخدمة لأغراض متنوعة.

ولا يختلف معسكر اللاجئين في مخططه كثيراً عن مخطط خان يونس، حيث يشقه شارع البحر من الشرق إلى الغرب، وهو الشارع الرئيسي في المعسكر، ويشكل قلب المعسكر أو ما يعرف بحي الأعمال المركزية لما يشتمل عليه من أسواق تضم محلات تجارية ومعارض ومقاهي ومدارس ونوادي.. الخ. ويتعامد على هذا الشارع الرئيسي عدد من الشوارع الفرعية التي تخترق المعسكر من الشمال إلى الجنوب. وقد ارتبط المعسكر مع حي الأمل الذي أنشيء في السنوات القليلة الماضية بشارع شبه موازٍ لشارع البحر. أما مخطط حي الأمل فإنه يأخذ الشكل

المستطيل أيضاً، إذ أنه يضم شوارع ثانوية مستقيمة ومتعامدة على بعضها، وتحيط شبكة الشوارع بالقسائم التي تحتوي على البيوت السكنية.

ويجمع مخطط خان يونس بين المخطط المستطيل سالف الذكر وبين مخطط النجمة، إذ أن الطرق التي تربط المدينة بالبحر غرباً، وبالقرى التابعة لها في الشمال والشرق والجنوب الشرقي، وبالمدن الأخرى في شمال القطاع وجنوبه، تجذب العمران للامتداد على أطوالها متشععاً على شكل أخطبوط في اتجاهات مختلفة. ويمكن ملاحظة امتداد العمران على شكل محاور أو أسافين على طول الطرق سالفة الذكر، بحيث يبدو مخطط المدينة على شكل نجمة في إطاره الخارجي وعلى شكل مستطيل في إطاره الداخلي.

ومن الطبيعي أن يميل نمط قطع الأراضي في مخطط خان يونس إلى الشكل المستطيل الذي يتناسب مع مخطط المدينة الداخلي. غير أن الامتداد الأفقي الذي شهدته المدينة عبر نموها في السنوات الثلاثين الأخيرة لم يكن يحدث في كل الاتجاهات، بل أنه حدث في جهات دون أخرى، واستطاعت الطرق المتفرعة من المدينة إلى ما حولها أن تجذب العمران للامتداد على أطوالها في محاور، الأمر الذي ترك مساحات واسعة من الأراضي الفضاء بين أذرع المحاور العمرانية.

وفيما يتعلق بالأراضي غير المبنية (الخالية) في خان يونس يمكن القول بأنها كبيرة المساحة. ومما يؤكد هذا القول أن مساحة أراضي مدينة خان يونس الواقعة ضمن نفوذ بلديتها يبلغ حوالي ١٦,٥ كم٢، بينما لايتجاوز الحيز المشغول منها حالياً (المبني) ٥,٥ كم٢. ويعود خلو الأراضي من المباني داخل خان يونس إلى أحد الأسباب التالية فقد تكون الأراض الخالية لأيتام ولا يستطيع أحد التصرف بها، وقد تكون الأرض صغيرة نسبياً يملكها عدة وارثين ومن الصعب تقسيمها أو الاستفادة منها جماعياً، وقد تكون أرضاً متنازع عليها قضائياً فتبقى كما هي، وقد يكون السبب اللامبالاة، أو الطمع في ارتفاع أسعار الأرض، أو عدم القدرة على البناء[١].

١ ـ هناك شبه بين خان يونس وعمان من حيث الأرض الفضاء داخل المدينة. انظر حسن صالح، مدينة عمان: دراسة جغرافية. عمان ١٩٨١، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

وفيما يتعلق بنمط الأبنية يمكن القول بأن خان يونس تجمع بين القديم والحديث في أبنيتها، فهناك البيت العربي التقليدي، والبيت العربي المحوّر، والبيت شبه الغربي، والبيت الغربي. وارتبطت هذه الأنماط من البيوت مع أنماط مختلفة من الشوارع، فالبيت العربي التقليدي ارتبط مع النظام العضوي - العشوائي للشوارع بما فيه الأزقة المسدودة. والبيت العربي المحوّر ارتبط مع النظام المستقيم للشوارع، بينما ارتبط البيت الغربي وشبه الغربي بالنظام الشبكي للشوارع كما هو الحال في حي الأمل الراقي نسبياً.

لقد سبق أن تحدثنا بإيجاز عن البيت العربي التقليدي الذي لا زال موجوداً في الأحياء القديمة بالمدينة. ومن المناسب أن نذكر بأن البيت العربي المحوّر يجمع بين صفات البيت التقليدي وشبه الغربي، وجاء لخدمة الإنسان ووسائط النقل. أما البيت الغربي وشبه الغربي فإنه يكون منفتحاً على الخارج مقارنة مع البيت العربي التقليدي، كما أنه يطل على شوارع واسعة[٢]، ويتفاوت ما بين البيت المستقل في وسط حديقة خاصة به، والشقة السكنية في عمارة ذات طوابق لا تتجاوز الأربعة.

استعمالات الأراضي:

تتنوع استعمالات الأراضي في خان يونس للأغراض السكنية والتجارية والصناعية والزراعية والخدمات العامة. (شكل ١١).

١ - الاستعمال السكني للأرض:

يغطي هذا الاستعمال أعلى نسبة من أرض المدينة، ويمكن أن نميز بين المساكن في الأحياء القديمة والجديدة ومعسكر اللاجئين، فالأحياء القديمة تشتمل على البيوت العربية التقليدية التي بنيت من طوب الإسمن واللبن، وقد هدم كثير من بيوت اللبن في السنوات الأخيرة وحلت محله بيوت الإسمنت. وتنتشر هذه

---

٢ - خالص الأشعب، مرجع سابق، ص ٦٩.

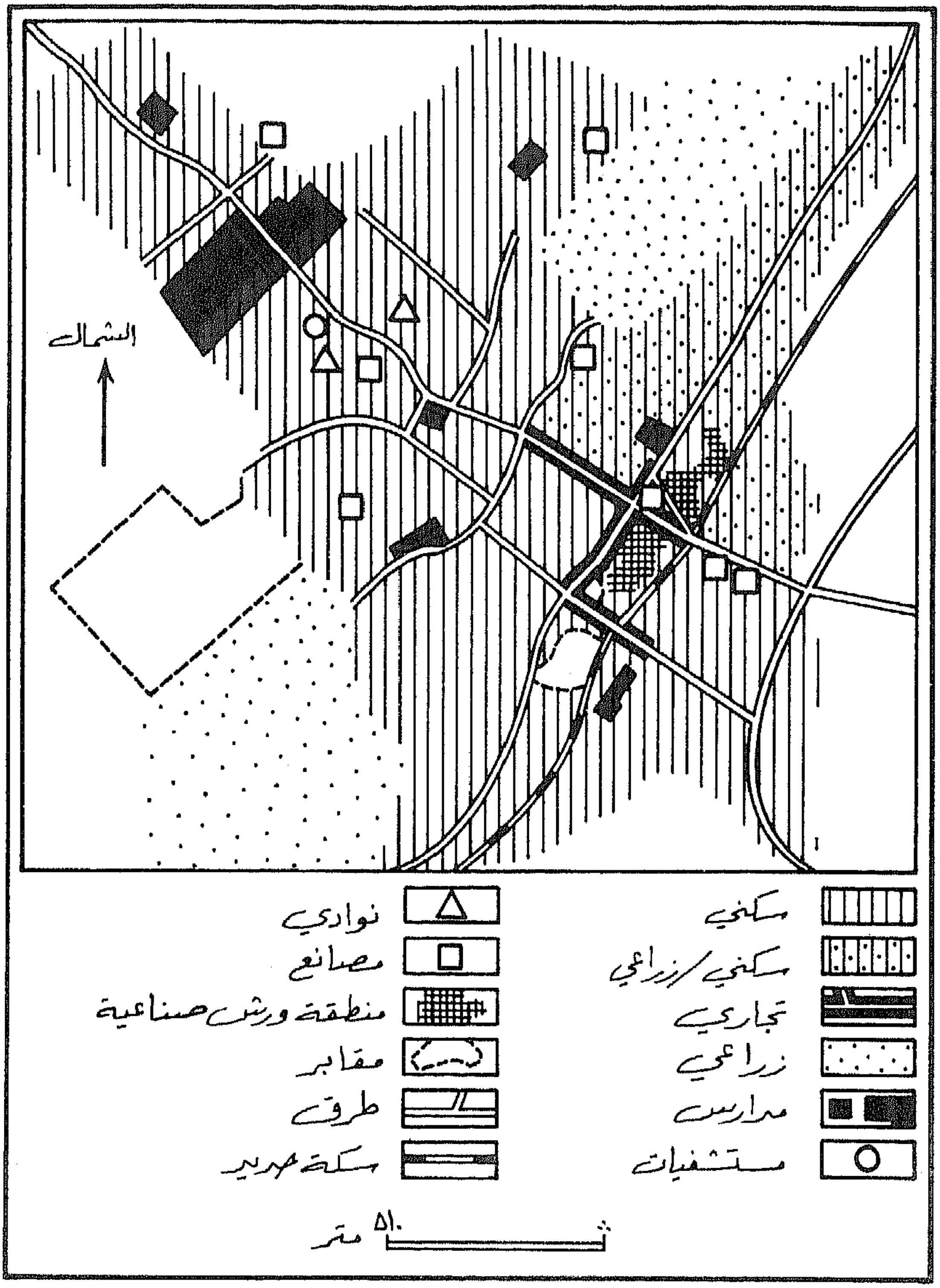

شكل - ١١ - استعمالات أراضي خان يونس

البيـوت السكنيـة في أحيـاء الآغا والفرا والبيوك والنجار وزعرب والشاعر والأسطل والعقـاد وشـرّاب . ويتفـاوت ارتفـاع البيـوت السكنية في هذه الأحياء ما بين طابق واحـد وأربعـة طوابق . ويـزداد ارتفاع المباني في وسط المدينة بينما يقل ارتفاعها كلما ابتعـدنـا عن الـوسط واقتربنا من الأطراف . وتستغل المباني ذات الطوابق المتعددة للأغـراض السكنيـة في الحلقة الوسطى للمدينة ، وللأغراض التجارية والخدمات الخاصة كعيادات الأطباء ومكاتب المحامين وأصحاب الإعلانات ومحلات الحياكة والفنادق في الحلقة الداخلية (قلب المدينة) .

وتتميـز المسـاكن في الأحياء الراقية كحي الأمل مثلا بأنها ذات مبان عصرية مصنـوعـة من طوب الإسمنت ، وتتألف من طابق واحد أو طابقين ، وفي كل طابق عدد من الغرف يتراوح ما بين غرفتين ومنافعهما وأربع غرف ومنافعهما . وتنخفض نسبـة إشغـال الغـرف في هذه المسـاكن بالمقارنة مع مساكن الأحياء القديمة . وأما مسـاكن معسكـر الـلاجئـين فهي وحـدات سكنيـة صغيرة الحجم في الغالب ، إذ تتألف الـوحـدة السكنيـة من غرفتـين أو ثلاث غرف ، وتـرتفع نسبة إشغال الغرف عادة لكـبر حجم الأسـرة التي تشغـل الوحدة السكنية . وقد بنيت مساكن معسكر الـلاجئـين من طوب الإسمنت وسقفها مصنوع من الإسبست ، وفي حالات قليلة من القرميد .

٢ ـ الاستعمال التجاري للأرض :

هنـاك منطقتـان تجاريتـان في خان يونس ، تشكـل إحـداهما منطقـة النـواة التجارية الرئيسة الممتدة على طول شارعي القلعة والبحر المتقاطعين ، إضافة إلى شارع مدخـل المـدينـة والشـارع المحيـط بالقلعـة من النـاحيـة الجنـوبيـة (سـوق الأربعـاء) ، وتشكـل ثانيتهـما منطقـة النـواة التجـارية الفرعية الممتدة على جانبي شارع البحر في أقصى الطرف الشمالي الغربي لمعسكر اللاجئين ، وتقع هذه المنطقة إلى الغرب من تجمع المدارس ومستشفى ناصر .

وتغطي المنطقـة المـركـزيـة التجـاريـة منطقـة الأسواق التقليدية مثل سوق الحبـوب وسـوق الخضار وسوق الأربعاء وغيرها . وأهم الشوارع التجارية الرئيسة

التي تجذب استعمالات الأرض التجارية على إحدى جانبيها أو على الجانبين هي تلك الممتدة من مركز المدينة نحو مختلف الاتجاهات. والجدير بالذكر أن سوق الأربعاء تعقد في شارع متفرع إلى الشرق من امتداد شارع جمال عبد الناصر المؤدي إلى رفح، وتعد هذه السوق من أكبر الأسواق المحلية التي تقام في قطاع غزة، ولا تنافسها إلا سوق السبت التي تقام في مدينة رفح.

وتتميز المنطقة المركزية التجارية عن المنطقة الفرعية التجارية لسوق معسكر اللاجئين من حيث أنها أكثر ازدحاماً لارتفاع كثافة المرور الميكانيكي والبشري فيها، كما أنها أيسر في الوصول إليها، وتزداد المنافسة بين استعمالات الأرض فيها، إذ تصل قيمة وحدة المساحة ومعدل الإيجار وقيمة العقار والمفتاح وارتفاع البناء إلى مداها مقارنة مع منطقة النواة التجارية الفرعية في معسكر اللاجئين.

وهناك استعمال تجاري غير متركز يتمثل في الدكاكين المبعثرة داخل الأحياء السكنية، ويغلب على هذه المحلات الصغيرة طابع تجارة التجزئة في قطاع البقالة، وهناك بعض المحلات الكبيرة داخل الأحياء السكنية الراقية تكون قريبة الشبه بالسوبر ماركت الذي يجد فيه الزبائن مختلف حاجياتهم من السلع. وسواء أكانت هذه المحلات التجارية صغيرة أم كبيرة فإنها تقيم علاقات وطيدة مع المناطق التجارية الرئيسة في المدينة.

٣ ـ الاستعمال الصناعي للأرض:

على الرغم من التطور الذي شهدته الوظيفة الصناعية في مدينة خان يونس، خلال الثلاثين سنة الماضية، إلا أنها لا زالت تتميز بصغرها وقلة تكوينها الرأسمالي، وهي صناعات ورش ذات عدد محدود من العمال. وتشغل الوظيفة الصناعية أراض في وسط المدينة داخل حي الأعمال بالقرب من القلعة، إذ يوجد على سبيل المثال مصنع أبو هلال للخياطة في شارع مدخل المدينة المؤدي إلى شارع البحر، كما توجد صناعات حرفية أخرى قائمة على مساحات محدودة في مركز المدينة حيث علاقتها المباشرة مع الزبائن. وهناك تجمع صناعي لورش

تصليح السيارات في الحلقة الوسطى حول قلب المدينة من الجهة الشمالية الشرقية ما بين شارع القلعة غرباً وخط سكة الحديد شرقاً.

وإلى جانب النمط المتركز للصناعة، يوجد نمط ثان مبعثر من الصناعات المنتشرة في الحلقة الخارجية كمصنع الأسكيمو في حي الأمل مثلاً، ومصانع طوب الإسمنت قرب مدخل المدينة من الناحية الشرقية وحول معسكر الاجئين. وهناك مصانع السجاد والملبوسات المنتشرة في البيوت داخل الحلقة الوسطى بالقرب من مركز المدينة.

٤ ـ الاستعمال الزراعي للأرض:

تشغل الأراضي الزراعية مساحات واسعة من الأراضي التابعة لنفوذ المدينة في الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية. وتتوزع هذه الأراضي على شكل أشرطة يمتد بعضها ما بين خط سكة الحديد وطريق خان يونس ـ القرارة، بينما يمتد بعضها الآخر ما بين ذلك الطريق وحي الأمل. وتمتد الأراضي الزراعية أيضاً على جانبي خط سكة الحديد والطريق المؤديتين إلى رفح، إضافة إلى امتدادها ما بعد الأحياء السكنية الواقعة في الجنوب الغربي من المدينة. وهناك أراض زراعية مروية تمتد إلى الغرب من المدينة بمحاذاة شاطيء البحر وتعرف بالمواصي.

٥ ـ الاستعمال الديني للأرض:

يتمثل في المساجد التي يبلغ عددها ١٧ مسجداً تنتشر في مختلف أرجاء المدينة حيث يتركز معظمها في وسط المدينة وداخل معسكر اللاجئين. وتوجد ثلاث مقابر في خان يونس، إثنتان منها في وسط المدينة، والثالثة في الجزء الجنوبي الغربي من معسكر اللاجئين، وقد أقيمت الأخيرة من قبل بلدية خان يونس، في بداية الثمانينات فوق مساحة واسعة من الأراضي الرملية. والجدير بالذكر أن المقبرتين الواقعتين في وسط المدينة تضمان مقبرة صغيرة خاصة قريبة من القلعة، ومقبرة متوسطة المساحة عامة إلى الجنوب من موقع سوق الأربعاء.

٦ ـ الاستعمال الترفيهي للأرض:

هنـاك حديقـة عامـة صغيرة في المدخل الشرقي للمدينة، إضافة إلى سينما واحـدة في وسـط المدينة، واستاد رياضي قرب معسكر اللاجئين، ومتنزهات على شاطيء البحر بالقرب من بساتين المواصي.

٧ ـ الخدمات المجتمعية:

تتمثـل في الـوحـدات التعليمية بمراحلها المختلفة، إذ توجد في خان يونس ٣٢ مدرسـة منتشـرة في مختلف أحيـاء المـدينة ومعسكر اللاجئين، كما يوجد ناديان ريـاضيـان ـ ثقـافيان ومستشفى ناصر في الجزء الشمالي الغربي من المدينة في منطقة معسكر اللاجئين، وتوجد ثلاث عيادات صحية أحدهما في معسكر اللاجئين، كما يوجد مركزان للبريد أحدهما في وسط المدينة والثاني في الجزء الشرقي منها قرب دائرة الجوازات، إضافة إلى مصرف (بنك) ليئومي واحد في مركز المدينة.

الفصل السادس

التطوير الحضري لمدينة خان يونس

لم يعد التخطيط مجرد ترسيم شوارع، وتحديد سعاتها، وتقسيم الأراضي فيما بينها وإخراجها بشكل هندسي جذاب. فالتخطيط علم وفن تنسيق استعمال الأراضي ضمن إطار التطوير الريفي والحضري، ونوعية الأبنية وترتيبها لتوفر الراحة والمجال، ومن ثم توجيه التطور الإعماري لصالح الغايات الاقتصادية والاجتماعية لمن يخطط من أجلهم[1].

ولا نستطيع أن نخطط لتطوير مدينة خان يونس بمعزل عن إقليمها، ذلك لأن المدينة تتفاعل مع الإقليم المحيط بها بحيث أنها تقدم كثيراً من الخدمات للإقليم وتحصل من الإقليم نظير تلك الخدمات على ما تحتاج إليه المدينة وإقليمها لإيجاد نوع من التكامل الاقتصادي الاجتماعي بينهما. وينبغي أن نؤكد على أهمية التخطيط التنموي لإقليم خان يونس كعامل أساسي يساعدنا في التغلب على كثير من المشكلات[2]. غير أن هذ التخطيط يصادف صعوبة في الوقت الحاضر لكون خان يونس ترزح تحت الاحتلال الإسرائيلي من جهة، ولقيام هذا الاحتلال

---

١ ـ حسن صالح، مرجع سابق، ص ١٢٧.

٢ ـ المرجع نفسه، ص ١٢٨.

بإنشاء عدد من المستعمرات اليهودية حول المدينة في الجهات الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والغربية من جهة ثانية. ومن المؤكد أن السياسة الإسرائيلية يمكن أن تعرقل أي جهود تبذل لتطوير المدينة وتنمية إقليمها لتجنب تعارض ذلك مع مصالح الاستعمار الاستيطاني حول خان يونس. ومن هذا المنطلق فإن التطوير الحضري للمدينة يتحتم عليه أن يراعي الظروف الحالية الصعبة بحيث يتم على مرحلتين: مرحلة قصيرة المدى يراعى فيها وجود مستعمرات حول المدينة إلى جانب ضعف الإمكانات المادية التي تحتم اتباع سياسة الأولويات في تنفيذ مشروعات الإعمار، ومرحلة طويلة المدى يفترض فيها أن يتم التوصل في المستقبل إلى حلول لمشكلة الاستعمار الاستيطاني من خلال التوصل إلى حل شامل للقضية الفلسطينية.

تحديد إقليم المدينة:

يمكن تحديد إقليم خان يونس بالاعتماد على تحديد نطاق توزيع سلسلة من أوجه النشاط المختلفة التي تربط المدينة بالقرى التابعة لها في الإقليم. وهناك علاقات متنوعة تربط خان يونس بإقليمها كالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والتعليمية والصحية وغيرها، ولهذه العلاقات مجالات تمتد إليها وحدود تنتهي عندها، وتحتاج لتحديدها إلى مسح ميداني نأمل أن يتم في المستقبل. ويمكنأن نذكر بعض الطرق العملية لقياس المدى الذي يصل إليه نفوذ خان يونس في إقليمها على سبيل المثال لا الحصر كما يلي[٣]:

١ - الخدمات البريدية: ويمكن تحديد إقليم خان يونس عن طريق معرفة القرى التي تتبع مركز البريد الأساس في المدينة والذي يقدم خدماته البريدية لهذه القرى.

٢ - الخدمات التعليمية: ويمكن رصد الحركة الطلابية من الريف إلى خان

---

٣ - أ - عبد الرزاق حسين، جغرافية المدن، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٧، ص ٣٤٩.
ب - عبد الفتاح وهيبة، جغرافية العمران، منشأة المعارف، الاسكندرية، بلا تاريخ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

يونس لمعرفة مدى امتداد النفوذ التعليمي للمدينة، وبخاصة في مجال التعليم للمرحلة الثانوية.

٣ - الخدمات الصحية: ويمكن رصد حركة المرضى القادمين من الريف والذين يتلقون علاجاً في خان يونس سواء في مستشفى ناصر أو في العيادات العامة أو في العيادات الخاصة.

٤ - الخدمات الصناعية: ويمكن رصد حركة الأيدي العاملة الصناعية القادمة من الريف للعمل في مصانع خان يونس.

٥ - الخدمات التجارية: ويمكن رصد حركة المواطنين القادمين من الريف إلى سوق الأربعاء في خان يونس أو إلى الأسواق اليومية بغرض التزود بحاجاتهم الأسبوعية أو اليومية.

٦ - الخدمات الزراعية: ويمكن رصد حركة المزارعين القادمين من الريف والذين يبيعون منتجاتهم الزراعية في أسواق خان يونس الأسبوعية أو اليومية.

٧ - الخدمات الإدارية: ويمكن رصد القرى التابعة إدارياً لخان يونس والتي تعتمد في إنجاز معاملات المواطنين فيها على الدوائر الحكومية في المدينة.

العلاقات المكانية بين المدينة وإقليمها:

من الضروري حصر العلاقات المكانية المتبادلة بين مدينة خان يونس وإقليمها للاستفادة من المعلومات المتعلقة بها في عملية التطوير الحضري، ولا تستطيع أي مدينة النمو دون وجود علاقات وروابط مع إقليمها، فهي تبيع ما تنتجه أو بعضاً منه إلى سكان الريف من حولها، والأساس في قيام المدن هو خدمة الإقليم التابع لها، بل أن العنصر الإقليمي هو الأصل في وظيفة المدينة(٤). (شكل ١٢).

---

٤ - أ - جمال حمدان، جغرافية المدن، القاهرة ١٩٦١، ص ٣٢٠.

ب - J. H., Alexander, The Basic- Nonbasic Concept of Urban Economic Functions. In Readings in Urdan Geography Edited by H. Mayer. The University of Chicago Press 1960, p. 8.

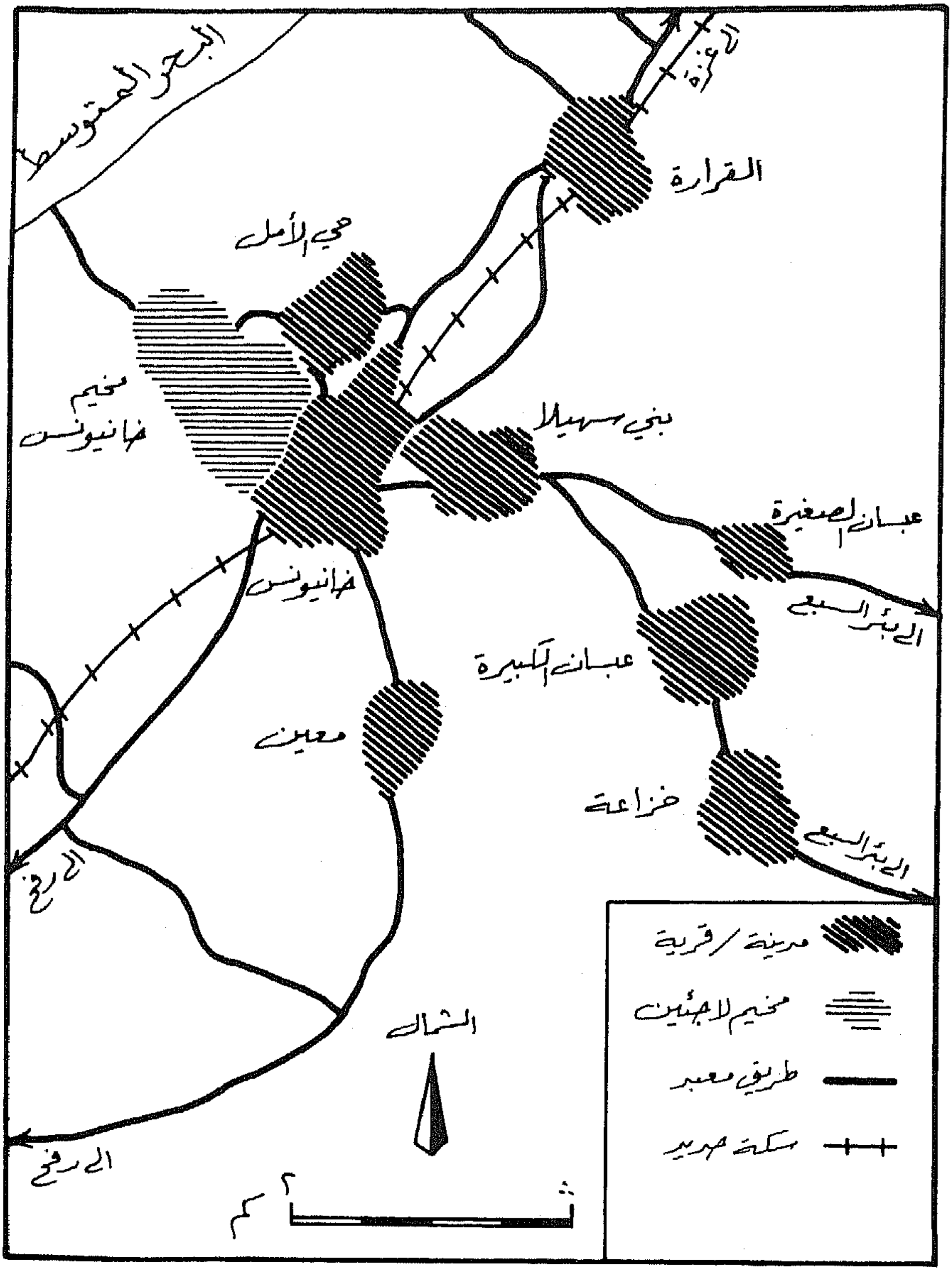

شكل ـ ١٢ ـ اقليم خان يونس / المدينة والقرى المجاورة لها

وإذا كان الإقليم يعتمـد على المـدينـة في سد متطلبـاتـه من بعض السلع والخـدمـات، فإنـه أي الإقليم يزود المـدينة بالكثير من السلع والمنتجات الزراعية والحيوانية. كما أنه يغذي المدينة بالسكان الذين يسهمون في زيادة حجم المدينة(٥).

وتعـد الـوظيفـة الإدارية من أبرز المعايير الواضحة في العلاقات المكانية بين خان يونس وإقليمهـا، ويظهـر إقليم خان يونس محدداً بدقـة من خلال القـرارات الحكـوميـة التي تعـين القـرى والمـواقع التابعة للمدينة. وتتمثل العلاقات الثقافية بالخـدمات التعليمية والأدبية والفنية والترفيهية التي تقدمها المدينة لإقليمها. وتعد الخـدمـات الأخـرى ثانـوية لمحدودية المراكز الثقافية في المدينة، إذ يوجد في المدينة ناديان ودار سينما واحدة. أمـا المـدارس الثانوية التي تفتح أبوابها للطلبة من خان يونس وإقليمها فهي أربع مدارس، اثنتان منها للذكور وإثنتان للإناث.

وتشكـل الخـدمـات الصحيـة إحـدى الخـدمات المهمة التي تقدمها المدينة للإقليم التـابـع لها، إذ نجـد أن مستشفى ناصـر يفتـح أبوابه للمرضى من المدينة والقرى المحيطة بها، كما أنه يقدم خدماته للمرضى القادمين إليه من مدينة رفح. ويمكن أن نحـدد البعـد الإقليمي للخدمات الصحية لمستشفى ناصر على النسبة بين عدد حالات دخـول المستشفى من أي مدينـة أو قريـة أخرى في الجزء الجنوبي من قطاع غزة وبين عدد سكانها وذلك على النحو التالي:

$$\text{البعد الإقليمي لخدمات مستشفى ناصر} = \frac{\text{عدد حالات دخول المستشفى من مكان ما}}{\text{عدد السكان في المكان نفسه}} \times ١٠٠$$

ويكـون امتـداد نفـوذ مستشفى ناصـر رئيسيـاً إذا كانت نتيجة المعادلة ١٪ فأكثـر، وثـانـوياً إذا تراوحت النتيجة ما بين ٥ ,٠٪ ـ ٩٩ ,٠٪، وثانوياً ضعيفاً إذا

ـــــــــــــــــــ

٥ ـ N. L. Kathlean, City Limits: Food, Energy and Employment. London 1975, p. 215.

تراوحت مابين ٢٠ , ٠٪ - ٤٩ , ٠٪، وإذا قل الجواب عن ٢٠ , ٠٪ فإن المكان يكون خارج نطاق نفوذ المستشفى[٦].

وتعد العلاقات الاقتصادية من أهم العلاقات المتبادلة بين خان يونس والقرى التابعة لها. ويمكن أن يقاس التفاعل الاقتصادي بين خان يونس وأي مكان آخر في الإقليم الجنوبي أو الإقليم الأوسط من قطاع غزة بتطبيق المعادلة التالية:

$$\text{درجة التفاعل الاقتصادي (ت)} = \frac{\text{ج س} \times \text{ج ص}}{\text{م}}$$

حيث

ج س = حجم المدينة س أي عدد سكان خان يونس مثلاً.

ج ص = حجم المدينة أو القرية ص أي عدد سكان رفح أو القرارة مثلاً.

م = طول المسافة بين مدينة خان يونس وأي موقع آخر في الإقليم.

وتتلخص معادلة التفاعل الاقتصادي في أن تفاعل أي مكان بآخر اقتصادياً يختلف اختلافاً موجباً حسب حجمهما السكاني، وسالباً حسب المسافة بينهما. فكلما ازداد حجم هذين المكانين سكانياً كلما ازداد التفاعل الاقتصادي بينهما، وكلما ازدادت المسافة بينهما، كلما تناقص التفاعل الاقتصادي بينهما[٧].

وبتطبيق هذه المعادلة على خان يونس وبعض المراكز العمرانية في إقليم المدينة اتضح أن درجة التفاعل الاقتصادي بين خان يونس ورفح اقوى منها بين خان يونس ودير البلح، وأن درجته بين خان يونس وبني سهيلة أقوى منها بين خان يونس وخزاعة.. الخ. (شكل ١٣).

---

٦ - موسى خميس، المراكز الحضرية في محافظة إربد، رسالة دكتوراة غير منشورة بإشراف الدكتور حسن صالح والدكتور محمود عصفور مقدمة إلى جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٨٤، ص ١٩٩.

٧ - محمد الفرا، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية. وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

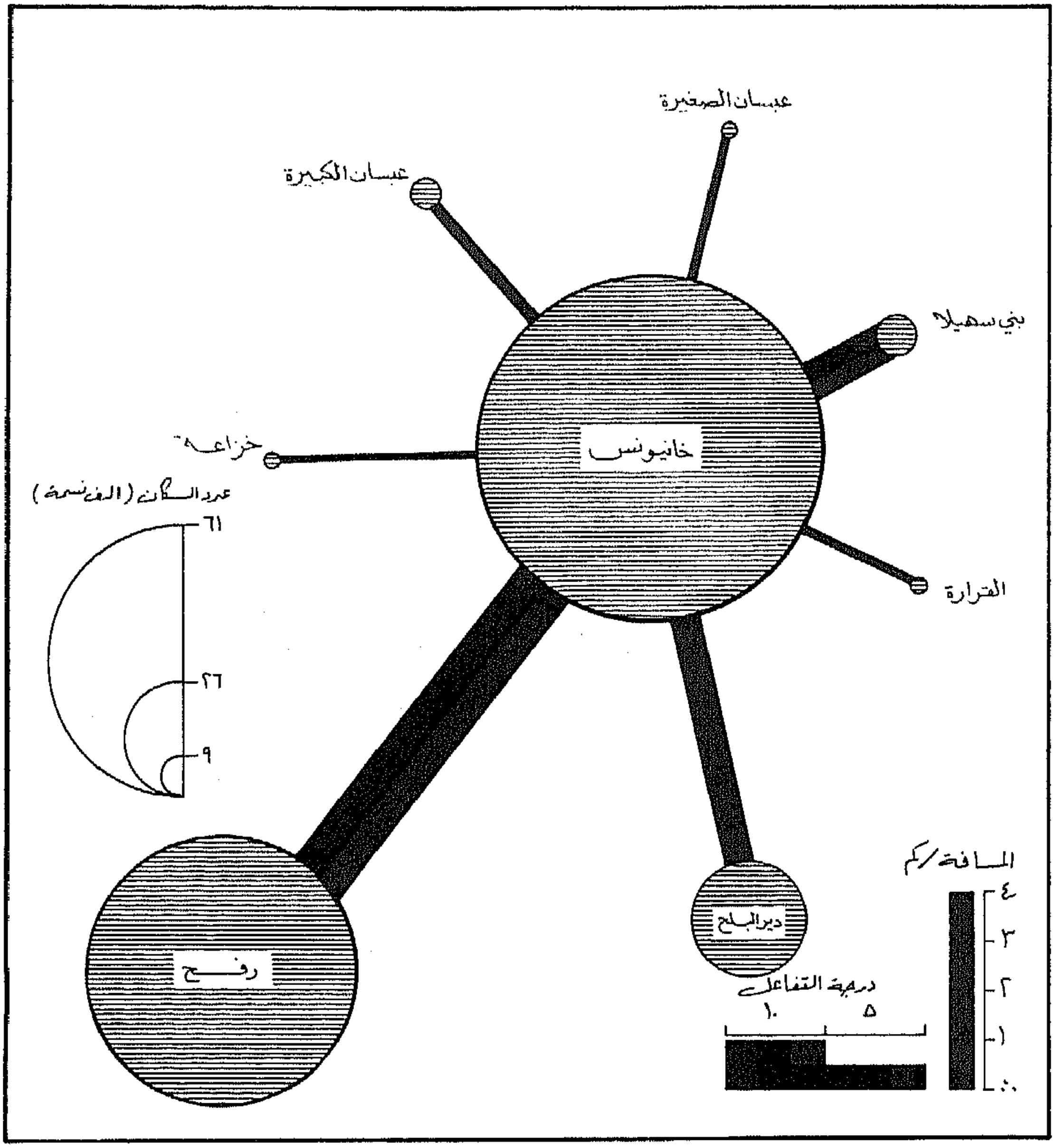

شكل ـ ١٣ ـ درجة التفاعل الاقتصادي بين خان يونس وبعض المراكز العمرانية المجاورة

جدول ـ ١ ـ درجة التفاعل الاقتصادي بين خان يونس وبعض المراكز العمرانية المجاورة

المركز العمراني	المسافة بين خان يونس والمركز العمراني (كم)	عدد سكان خان يونس عام ١٩٨٤ بالألف	عدد سكان المركز العمراني عام ١٩٨٤ بالألف	درجة التفاعل
رفح	١٣	٧٧	٦١	١٣
دير البلح	١٠	٧٧	٢٦	٧
القرارة	٥	٧٧	٢,٦	١,٤
بني سهيلة	٣	٧٧	٩	٨
عبسان الصغيرة	٦	٧٧	٣,٥	١,٦
عبسان الكبيرة	٦	٧٧	٦,٣	٢,٨
خزاعة	٨	٧٧	٣	١

المصدر: مكتب الاحصاء المركزي، المجموعة الاحصائية لإسرائيل ١٩٨٤.

يتضح لنا من الجدول أن درجة التفاعل الاقتصادي النسبية بين خان يونس والمراكز العمرانية المجاورة تتفاوت من مركز إلى آخر، فهي أقوى ما يمكن مع رفح (١٣) وأضعف ما يمكن مع خزاعة (١). وتتراوح الأرقام النسبية لبقية المراكز العمرانية بين الرقمين سالفي الذكر، إذ تشغل درجة التفاعل الاقتصادي مع بني سهيلة المرتبة الثانية بعد رفح (٨)، ويتلوها في ذلك دير البلح (٧)، فعبسان الكبيرة (٢,٨)، وعبسان الصغيرة (١,٦)، والقرارة (١,٤).

المراجـع

أولاً : المراجع العربية :

١ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، الجزء الأول، غزة (١٩٨٠).

٢ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، الجزء الثالث، غزة (١٩٨٠).

٣ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، الجزء الرابع، غزة (١٩٨١).

٤ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، الجزء السابع، غزة (١٩٨٢).

٥ ـ ابراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، الجزء التاسع، غزة (١٩٨٣).

٦ ـ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دار صادر، بيروت (١٩٦٤).

٧ ـ ابن تغري بردي، يوسف جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة، القاهرة (١١/ ٣٨٤).

٨ ـ احمد اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن. مكتبة سعيد رأفت، القاهرة (١٩٨٢).

٩ ـ احمد بن زنبل الرمال المحلي، تاريخ السلطان سليم خان. القاهرة (١٢٧٨هـ).

١٠ ـ بشير البرغوثي، المطامع الإسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة. دار الجليل للنشر، عمان (١٩٨٦).

١١ ـ بلدية خان يونس، ملفات بلدية خان يونس.
١٢ ـ جمال حمدان، جغرافية المدن. القاهرة (١٩٦١).
١٣ ـ حسن صالح، مدينة عمان: دراسة جغرافية. عمان (١٩٨١).
١٤ ـ حسن صالح، مدينة خان يونس. الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، المجلد (٢)، دمشق (١٩٨٤).
١٥ ـ حسن صالح، الانتاج الزراعي في قطاع غزة: مجلة صامد الاقتصادي، المجلد (٩)، العدد (٦٥)، شباط (١٩٨٧)، ص ٣٢ ـ ٦٠.
١٦ ـ حسن صالح، حرب المياه بين العرب وإسرائيل. مجلة شؤون عربية، العدد (٥٥)، ايلول (١٩٨٨).
١٧ ـ حسن صالح، الأوضاع الديموغرافية لعرب فلسطين. دراسة تحت الطبع في القسم الثاني من الموسوعة الفلسطينية.
١٨ ـ حسن الخياط، التركيب الداخلي للمدن. مجلة الاستاذ، المجلد (١٢)، بغداد ١٩٦٤.
١٩ ـ حسين أبو النمل، قطاع غزة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧). مركز الابحاث الفلسطيني، بيروت (١٩٧٩).
٢٠ ـ حكومة فلسطين، الاحصاءات الحيوية لسكان فلسطين (١٩٢٢ ـ ١٩٤٥).
٢١ ـ حكومة فلسطين، تعداد فلسطين عام ١٩٣١، المجلد (٢)، الاسكندرية (١٩٣٣).
٢٢ ـ حكومة فلسطين، خريطة فلسطين مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة خان يونس.
٢٣ ـ خالص الأشعب، المدينة العربية. معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد (١٩٨٢).
٢٤ ـ دائرة الزراعة، ملفات دائرة الزراعة بقطاع غزة.
٢٥ ـ دائرة الزراعة، مجلة الزراعة. العددان (١٢، ١٣)، غة (١٩٨٥).
٢٦ ـ سمير جبور، الانتفاضة الشعبية في الأراضي المحتلة. شؤون عربية، العدد (٥٥)، (١٩٨٨)، ص ٨٢ ـ ١٠١.

٢٧ ـ شريف كناعنه ورشاد المدني، الاستيطان ومصادرة الأراضي في قطاع غزة (١٩٦٧ ـ ١٩٨٤). مجلة صامد الاقتصادي، المجلد (٩)، العدد (٦٥)، (١٩٨٧)، ص ٨٧ ـ ١١١.

٢٨ ـ عارف العارف، تاريخ غزة. مطبعة دار الايتام الاسلامية، القدس (١٩٤٣).

٢٩ ـ عبد الرزاق حسين، جغرافية المدن. مطبعة أسعد، بغداد (١٩٧٧).

٣٠ ـ عبد الفتاح وهيبة، جغرافية العمران. منشأة المعارف، الاسكندرية، (بلا تاريخ).

٣١ ـ عبد الله الحوراني، قطاع غزة ـ ١٩ عاماً من الاحتلال. دار الكرمل للنشر، عمان (١٩٨٧).

٣٢ ـ علي الجرباوي، الصراع بين جمهورية فلسطين الأولى وجمهورية اسرائيل الثانية. شؤون عربية، العدد (٥٥)، (٢٩٨٨)، ص ٢٩ ـ ٥٤.

٣٣ ـ فراس صوالحة، دراسة تحليلية لمشاكل تسويق الحمضيات في قطاع غزة. مجموعة الدراسات الاستشارية رقم (٤)، مركز الدراسات الريفية، نابلس (١٩٨٣).

٣٤ ـ قسم الدراسات والأبحاث، تقرير الأرض المحتلة مقدم إلى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثامنة عشرة المنعقدة في الجزائر بتاريخ ١٩٨٧/٤/٢٠، دار الجليل للنشر، عمان ١٩٨٧.

٣٥ ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشا، الجزء الرابع عشر، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٦٣.

٣٦ ـ اللجنة الملكية لشؤون القدس، نشرة دورية وثائقية حول مدينة القدس والأراضي العربية المحتلة، عمان (١٩٨٨). نشرات رقم ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١.

٣٧ ـ محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية. عالم المعرفة، الكويت (١٩٨٨).

٣٨ ـ محمد الفرا، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية. وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣.

٣٩ ـ مركز الابحاث، أوراق عارف العارف. غزة نافذة على الجحيم، المجموعة السادسة، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت (بلا تاريخ).
٤٠ ـ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين (الديار الغزية)، ج١ ق٢، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٦.
٤١ ـ مصطفى الدباغ، القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين. دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩.
٤٢ ـ المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك. ج١ ق١، ج٢ ق٢، ١٩٤٢، ١٩٥٦.
٤٣ ـ مكتب الاحصاء المركزي، المجموعة الاحصائية لإسرائيل ١٩٨٤.
٤٤ ـ منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، مجزرة قطاع غزة. ط ٢ ١٩٨٣.
٤٥ ـ مهندسون استشاريون، مخطط عام لشبكات المياه والمجاري لبلدية غزة. غزة ١٩٧٢.
٤٦ ـ موسى خميس، المراكز الحضرية في محافظة أربد. رسالة دكتوراة غير منشورة بإشراف الدكتور حسن صالح والدكتور محمود عصفور مقدمة الى جامعة عين شمس. القاهرة ١٩٨٤.
٤٧ ـ نهضة كمال الأغا، نظام التعليم وأهدافه في قطاع غزة. مجلة صامد الاقتصادي، العدد ٦٥، ١٩٨٧، ص ٦٠ ـ ٨٦.
٤٨ ـ الهمداني، الحسن أبو محمد، صفة جزيرة العرب. ليدن ١٨٨٤.

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1. Alexander J. H., TheBasic and Nonbasic Concept of Urban Economic Functions. In the book «Readings in Urban Geography» edited by Mayer and Kohn. Chicago (1960).

2. Ashour M., Study of the Changes in the Ground Water Quality in Gaza Strip during the Last Twenty Years. Gaza (1983).

3. Kahan D., Agriculture and Water in the West Bank and Gaza Strip. The West Bank Data Project. Jerusalem (1983).

4. Kathlean N. L., City Limits: Food, Energy, and Employment. London (1975).

5. Lewis, B., Studies in the Ottoman Archives I.

6. Meistermann, Guide de Terre Sainte, Paris.

7. Orni E. and Efrat E., Geography of Israel. Jerusalem (1971).

†. Picard L., and Salomonica, On the Geology of the Gaza- Beersheba District. Bull. No. 2. Jerusalem (1936).

0. Reifenberg A., The Soil of Palestine. London (1947).

10. Truman, T. H., Interpreting the City: An Urban Geography. John Wiley, New York (1980).

صدر عن سلسلة المدن الفلسطينية :

١ ـ يافا
٢ ـ عكا
٣ ـ نابلس
٤ ـ رام الله والبيرة
٥ ـ الرملة
٦ ـ القدس
٧ ـ بيسان
٨ ـ بئر السبع والصحراء الفلسطينية
٩ ـ بيت لحم
١٠ ـ جنين
١١ ـ صفد
١٢ ـ غزة
١٣ ـ اللد
١٤ ـ طولكرم
١٥ ـ الناصرة
١٦ ـ المجدل وعسقلان
١٧ ـ ـ أريحا
١٨ ـ خان يونس

يصدر عن هذه السلسلة :

١ ـ الخليل
٢ ـ حيفا
٣ ـ طبريا

حين يكون الوطن بعيداً أو أنت مبعد عنه ...

وحين تستمر أجيال الوطن في التوالد بعيداً عن أرضه دون أن تلمس ترابه أو تشم ثراه المجبول بالدم والمعطر برائحة البرتقال والزيتون ...

وحين يكون الحنين لفلسطين مدناً وقرىً وبحراً وسهلاً وجبلاً يتردد صداه غناء وبكاء في كل بيت وصدر فلسطيني ...

وحين يعمد العدو الغاصب ـ وبعد أن اقتلع الشعب من وطنه ـ إلى اقتلاع حجارة الوطن وأشجاره ليمحو مدنه وقراه وآثاره بهدف تغيير معالم الوطن. ورسم صورته على هواه ...

وحتى تظل فلسطين ، تاريخاً وتراثاً وحضارةً ونضالاً ، حية في عقل كل فلسطيني وعربي ...

وحتى تظل فلسطين مجسّدة بجبالها وسهولها ومعالمها في عيون كل الأجيال الفلسطينية والعربية وهي تناضل من أجل تحريرها واستعادتها ... كان علينا أن نقرِّبها ، أن نقرِّب الوطن البعيد من الأجيال التي لم يكتب لها أن تراه حتى الآن ، فكانت هذه السلسلة من الكتب التي جاءت ثمرة تعاون بنّاء بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

عبد الله الحوراني

الثمن : **الأردن** ١ دينار ، **الإمارات العربية المتحدة** ١٠ دراهم ، **المملكة العربية السعودية** ١٠ ريال ، **قطر** ١٠ ريال ، **الكويت** ١ دينار ، **سورية ولبنان** ٢٥ ل.س ، **والبلدان الأخرى** ٢ دولار .